إهداء

هذا الإهداء لكل من سيقرأ روايتي ،انتم رائعون و مميزون و محظوظون

ليس لأنكم ستقرؤون لي بل لأن هذه هي حقيقتكم ،لا تفقدوا الأمل ولا تحزنوا و كونوا واثقين من أنفسكم و تذكروا دائما أن الله معكم و في كل مكان و في اي لحظة ...

مقدمة

عندما يفهم القلب ان كل الامور بيد الله يطمئن كثيرا ....

اللقاء الأول

انها الحياة يا سادة ،أشبه ببحر هائج بأمواج عالية أحيانا و هادئ صاف أحيانا أخرى ،و لا يهمها ان كنت تجيد السباحة ام لا ،فإن أصرت على إغراقك فستغرقك و ان عطفت عليك ستتركك لتنجو من عاصفة هوجاء وسط البحر العميق ،انها الحياة جعلها الله صعبة أحيانا و سهلة احيانا اخرى ،تمسكنا بالله هو فقط من سيجعل هذه الحياة بمصاعبها تبدو سهلة و هينة ،من السخيف ان نظن ان العالم سيعاملنا بلطف ما دامت نيتنا صادقة هذا المنطق اشبه بأن تظن ان النمر لن يأكلك لأنك نباتي ،فأغلب البشر يبحث عن مصلحته الشخصية و في اول فرصة لهم سيتمكنون منك ان أعطيتهم الأمان ،ما ان تنتهي تلك المصلحة لن تجد حتى رائحتهم حولك ،لذلك احترس احترس و احترس من هؤلاء البشر صائدوا المصالح الشخصية ، عذرا أحسست نفسي عجوز و انا اخبركم بهذه النصائح و الحكم ،اكثرنا من الحديث و نسينا بطلة قصتنا تغط في نوم عميق !!!

استيقظت على رنين منبهها القوي و قامت برفق من السرير وهي تحك رأسها وتنظر للغرفة في ملل ،بعد لحظات كانت قد ارتدت ملابسها و خرجت من غرفتها لتتجه الى حديقة منزلها لتتناول فطورها مع عائلتها و ما ان وقفت بجانب الطاولة حتى صرخت امها قائلة بغضب :

_ملك ما الذي ترتدينه ،لقد حذرتك مرارا و تكرارا من ارتداء هذا اللباس ،ألا تعلمين ابنة من انت

قالت ملك بهدوء :

_مع السلامة سوف أذهب

تأففت الأم و حاولت ايقافها قائلة :

_و فطورك ؟

استدارت و اكملت طريقها قائلة :

_لست جائعة

رفعت الام اكتافها بلامبالاة وحملت هاتفها الذي كان يرن قائلة بتكبر وعجرفة :

_ تعالي اليوم لدينا جلسة تصوير عائلية و اريد ان ابدو فاتنة للغاية

خرجت ملك من ذلك البيت الكبير ربما لو قلنا قصرا لكان أصح ،وقف السائق امامها بإحترام و تواضع قائلا :

_انسة ملك تفضلي الى السيارة

اجابته ملك بلطف قائلة :

_المعذرة منك يا إمري ،لكنني سأستقل الحافلة

نظر السائق إمري لملك بحيرة و قال :

_ولكن يا آنسة ملك

قاطعته ملك و هي تأكد على قرارها :

_ انا مرتاحة لا تشغل بالك

اجابها قائلا بخجل و احترام :

_كما تريدين يا آنسة انا في خدمتك في اي وقت

توجهت ملك الى موقف الحافلات و هي تشعر بنشوة سعادة تغمرها التقت في طريقها بقطة صغيرة حملتها و قبلتها و ووضعتها بعيدا عن الطريق ،ابتسمت و اكملت طريقها وهي تكاد تطير فرحا.بعد لحظات وصلت الى مكان ما ظلت تنظر للبطاقة التي في يدها ثم تعيد النظر للمبني ثم قالت بثقة :

_نعم انه هو،هذا هو المكان

دخلت الى الداخل و سألت احدى الموظفات هناك قائلة :

_عفوا يا آنسة هل تبحثون عن عمال ؟

نظرت لها الموظفة متفحصة اياها وهي تلوك تلك العلكة بين أسنانها و ترفع حاجبها بإشمئزاز ثم قالت لها بتكبر و غطرسة :

_لا لا نحتاج .

أخفضت ملك رأسها بتحسر و همت بالخروج فنادتها الموظفة قائلة :

_مهلا يا آنسة ،هل تبحثين عن عمل

استدارت ملك بفرح و قالت لها بشغف :

_نعم نعم انا جئت الى هنا لأنني رأيت اعلان توظيف

فكرت الموظفة قليل ثم قالت لها :

_نريد طباخة تعمل بالمطعم هل انت بارعة في هذا المجال

اجابتها ملك بلهفة قائلة :

_انا اصنع الحلويات تشيز كيك و كاب كيك و انواع كثيرة من الحلويات لكن الطبخ لا أظن انني أجيده

طلبت منها الموظفة ان تنتظر دقيقة ثم اجرت اتصالا لثواني و عادت لها قائلة :

_مبارك لك يا آنسة لقد تم قبولك في المطعم يمكنك البدء من الآن ستكونين المسؤولة عن صنع الكيك

قفزت ملك بفرح فهي لم تصدق انها حصلت اخيرا على عمل ،ذهبت خلف الموظفة لكي تعطيها عنوان المطعم الذي ستشتغل فيه وعندما سلمتها الموظفة البطاقة كانت الصدمة ،توقفت ملك لحظات و هي تمسك البطاقة بحسرة و حزن و قالت متسائلة للموظفة :

_أليس لديك عنوان مطعم آخر ؟

اجابتها الموظفة في دهشة قائلة:

_كدت الان ان تموتي فرحا بهذا العمل مالذي حصل لك ؟ لما تريدين تغيير المكان

اجابتها بتوتر قائلة بكذب :

_في الحقيقة لم يرق لي ذلك المكان انه بعيدجدا عن بيتي والمواصلات هناك باهضة سيكون صعب عليا الذهاب كل يوم

اخذت الموظفة البطاقة من يد ملك بعصبية و قالت لها بغضب :

_لا يوجد لدينا مطعم آخر ان لم يعجبك خيارنا فانصرفي في الحال ،نحن هنا لن نختار بل مجبورين هيا انصرفي

استدارت الموظفة و رحلت من امام ملك التي بقيت حائرة لا تعرف مالذي تفعله ،من جهة تريد ان تتخلص من ضغوطات عائلتها التي لا تهتم لها و لا لحياتها ومن جهة اخرى تريد ان تتعرف على اناس جدد تريد تكوين صداقات و تريد رؤية العالم ،الحياة والرفاهية والمال لا يمكنهم جعلك سعيد ابدا ان غاب الحب و الاهتمام فلن تعيش بسلامة و لو ملكت اموال الدنيا ،ملك انسانة تحب الحياة البسيطة حلمها هو ان تعيش بهدوء و حب وسط جو من الاهتمام و السعادة ،لا تهتم لما تملك من ثروات و مال و جاه فهي لا تريد اي شيئ ،فهذه الاموال جعلت من امها دمية همها الوحيد هو أناقتها و جمالها و لباسها و همها الوحيد هو مكانتها في المجتمع الراقي ،ونسيت ان لها إبنة يجب ان تعطيها حتى القليل من الاهتمام والحب أما أبوها فكان همه الوحيد هو تحقيق الارباح و اكتساب الكثير من المال و الصفقات و شراء العديد من السيارات و القصور و الظهور امام الناس بشخصية مهمة و كبيرة في المجتمع الطبقي ،اخوتها حالهم حال كل افراد العائلة افسدتهم الأموال و الثراء الفاحش ،لكن الكل كان كئيب حزين و تعيس لكل منهم هموم حتى أصبحوا يتصرفون مثل الربوتات ،لا يهتمون لا يشعرون و يبحثون فقط عن الرفاهية و الراحة ،أما في داخلهم فكانوا بأمس حاجة للعائلة و اجتماع العائلة وذلك الدفئ العائلي حين يجلس الاب والأم و يدور حولهما الأولاد يضحكون و يتبادلون الاحاديث فهذا الأب ينصح و يرشد و تلك الأم تحكي قصصا و عبر و هذا الأخ يحكي تجاربه و تلك الأخت تتحدث عن أحلامها و هواياتها ،هذا ما كان ينقص عائلة ملك التي أصبحت تهتم للمظاهر الخارجية فقط،أما ملك البنت المفعمة بالحيوية لم تتبع طريقهم فأنشأت طريقا لنفسها و سارت بغير خطاهم ،و كم أجبروها على اتباعهم ،عند جلسات التصوير التي لا معنى لها و لحضور الحفلات المملة و التوقيع على اوراق غير مهمة و ارتداء ملابس فاضحة و غير مريحة بالنسبة لها ،ملك كانت تفضل دائما ارتداء الملابس الفضفاضة و المستورة ، و في يوم ما ظهرت وهي ترتدي فستانا فضفاض و خمار يسترها و يستر شعرها ،أثارت غضب والدتها التي لا تعرف اتجاه القبلة و اشمئزت منها اختها التي تلبس التنانير القصيرة لكن

كانت هناك نظرت اعجاب في عيني اخيها الذي لم يبدي ردة فعل بل بدا وكأن الأمر قد أعجبه بينما اكتفى والدها بالصمت ،و ظلت امها تعارض هذا اللباس الذي تعتبره غير لائق لعائلتها ،لم تعر ملك اي احد منهم اهتمامها و ظلت متمسكة بقراراتها و كانت متأكدة بأنها على الطريق الصح ...

انصرفت ملك و كلها حصرة على ضياع فرصة للعمل و توجهت للجامعة التي تدرس بها ،بينما وهي تمشي وتفكر في امرها اصطدم بها شاب مسرع و أسقط ما كان يحمله ،اعتذرت منه ملك قائلة بتوتر :

_اعتذر منك انا لم اقصد ذلك لم انتبه لك

أجابها الشاب وهو يحمل أغراضه التي تناثرت ارضا قائلا بسرعة :

_لا عليك لم يكن خطؤك انا من إصدمت بك

اجابته قائلة و هي تنحني لتحمل كتابا من كتبه التي سقطت :

_انا حقا آسفة ،دعني اساعدك في جمع اغراضك

إلتقط منها الكتاب بسرعة و لهفة و نظر لها بنظرة غريبة و هو ممسك بجميع أغراضه بيده و يضمهم الى صدره ثم انصرف من امامها بدون ان يتفوه بكلمة ،رفعت ملك حاجبها بحيرة و اكملت طريقها وهي تتعجب من اسلوب هذا الشاب الغريب ،بعد لحظات من المشي أحست بأن الأرض تميد بها ،لمحت كرسي قريب منها فأسرعت لكي تجلس و ظنت انها شعرت بالدوار بسبب الجوع فهي لم تأكل شيئ منذ الصباح ،ارتاحت قليلا و نهضت لتشتري شيئ تأكله

،في المساء رجعت الى البيت منهكة تماما ،اخذت حماما ساخنا و استلقت على السرير تفكر في امر العمل، حتى غلبها النعاس و اثناء نومها داهمها كابوس مخيف ،كانت في غابة مظلمة تسير حافية القدمين و فجأة لمحت شخصا يرتدي كل شيئ أسود بدأ يقترب منها ،فخافت منه و شرعت بالجري و فشرع هو الآخر بجري خلفها ،فأصبحت تصرخ بشدة و هي هاربة منه، و بينما وهي تجري تعثرت في غصن و سقطت ،وصل اليها ذلك الرجل و قال لها :

_لا تخافي ،لماذا تهربين

اصابها الهلع ، فأصبحت تصرخ و تصرخ الى ان اسيقظت فوجدت نفسها في فراشها و هي تلهث ،انفتح الباب ودخلت منه الخادمة قائلة :

_آنسة ملك لماذا تصرخين هل حدث لك شيئ .

اجابتها ملك وهي تلهث ووتضع يدها على صدرها وعلامات الفزع بادية على وجهها قائلة :

_انا بخير عائشة انا بخير لقد كان كابوسا مخيفا فقط

فقالت الخادمة :

_سأحضر لك الماء

ورحلت تاركة ملك تحاول تمالك نفسها ..

اين نذهب

كان منهمكا في القراءة و كأنه غائب تمام عن العالم و هو ينتقل من صفحة الى اخرى بتركيز شديد، امامه شمعة ، تكاد تذوب و يكاد هو ان يتسابق معها ليقرأ عددا كبيرا من الصفحات قبل ان تنتهي حياة تلك الشمعة التي أحرقت نفسها لأجله ، قطع تركيزه صوت دقات الباب المهترأ التابع لغرفته قام من سريره البالي و فتح الباب ليصدر صريرا مزعجا و ظهرت من وراءه امراة بدأ المشيب يغزو شعرها و التجاعيد تحتضن وجهها لكن فيها لمحة حنان و مسحة طيبة فقالت للشاب الواقف امامها بصوت واهن يدل على تعب حبالها الصوتية :

_علي بني ألا تتعب من القراءة تعال لنتناول لقمة العشاء

ربت علي على كتفها و قال بإبتسامة :

_كلي انت يا امي انا شبعان

فقالت العجوز بعتاب :

_انت تقول هكذا لأنك تعرف ان الطعام لا يكفي لكلانا يا ولدي ،اعرف انك تتضور جوعا تعال تعال يا بني لنتقاسم لقمة لقمة و الله سيرزقنا

نزلت دمعة من عينيه وهو يسمع كلام أمه فقال لها :

_حسنا بما انك تصرين سآتي لنأكل سويا ،اعرف انك لا تحبين الأكل لوحدك

ضحكت العجوز و هي تتوجه لغرفة صغيرة بها مدفئة و اريكتين قديمتين و حصيرة مرقعة من كل الجهات و طاولة قرب الاريكة بها صحن فيه شوربة وقربه بعض الخبز الذي مرت عليه أيام ،جلست العجوز و جلس علي بقربها اخذ الخبز و قربه الى المدفأة كي يسخن و يصبح طري و سهلا للمضغ ،بينما امسكت امه بالملعقة و بدأت تحتسي الشوربة ،تكلمت العجوز قائلة :

_علي يا ولدي ،ألم تجد عملا بعد ،لم ندفع الايجار لمدة أربعة أشهر و صاحب البيت يطالبنا بماله

تنهد علي في حزن و اخذ الخبز من فوق المدفأة و وضعه على الطاولة و قسم منه جزء وناوله لأمه قائلا:

_سأجد عملا ان شاء الله لا تشغلي بالك يا أمي ،سوف أتكلم مع صاحب البيت يجب ان ينتظر قليلا

واصلت العجوز احتسائها للشوربة بينما علي كان يقسم الخبز و يناولها اياه لتأكله لكنه لم يأكل ولا لقمة بل ظل يفكر في حل ما يخرجه من هذه المشكلة ،كيف سيجد عملا وكيف سيسدد أجار البيت و ان لم يوافق صاحب البيت سيطردهما للشارع و أين سيذهبان حينها ،يجب عليه ان يجد عملا هكذا حدث نفسه وهو ينظر للمدفأة وهي تنطفئ لنفاذ الغاز منها فإشتد البرد ودخلت الرياح من فتحات النوافذ المكسورة ،قام علي بعد ان أكملت والدته طعامها و احضر لها بطانية و دثرها ، تلك العجوز التي اتعبتها حياة الفقر كثيرا و تدهورت صحتها و لم تعد تقوى على اشغال المنزل فهي بحاجة لم يهتم بها بحاجة للرعاية والعناية بحاجة للتداوي و الراحة وكيف ستحصل على كل هذا و هي تعيش في فقر كهذا ،علي لم يستطع ايجاد عمل و لا يزال يدرس بالجامعة و بسبب ظروفه المادية فقد ظل في الجامعة سبع سنوات ولم يتخرج بعد ،هكذا هي الحياة كما قلت لكم انها كالبحر لا يهمها ان كنت تجيد السباحة ،ان ارادت اغراقك ستغرقك .

ذهب علي لغرفته بعد ان تأكد بأن امه قد نامت بهدوء ،فإتكأ على سريره و هو يتذكر تلك الفتاة التي اصطدم بها ،ظل يفكر بها للحظات ثم دعا الله ان الا يكون قد اصابها شيئ ما ،شرد في تفكيره و قد غلبه النعاس ليأخذه في رحلة مخيفة وكابوس مرعب ،حيث شاهد نفسه في قمة جبلية عالية و كانت معه ملك التي اصطدم بها ،امسك علي بيدها و مشيا نحو حافة تلك القمة و كان يقول لها بشرود:

_مصيرنا مرتبط

اومأت له ملك برأسها وكانت تنظر بنظرات باردة و غريبة و توجها نحو الحافة وصلا اليها و واغمضا أعينهما و قفزا من هناك ،اسيتقظ علي مذعورا وهو يلهث و في نفس الوقت اسيقظت ملك في هلع مما رأت و هي تقول :

_كابوس آخر يا إلاهي سأجن

بينما أمسك علي بقارورة المياه و شرب منها ووضع راسه على الوسادة وهو يعيد مشهد الحلم و يتسائل في نفسه :

_مالذي فعلته بنفسي ،كيف استطيع ذلك

اما ملك بعد ان شربت الماء وضعت راسها على الوسادة و هي تتسائل :

_اين رايت ذلك الشاب ؟ وجهه بدا لي مألوفا و لماذا قفزنا من الحافة ،يا إلاهي كان حلما غريبا

تنهد علي و حاول ان ينام مرة اخرى بينما وقفت ملك وذهبت للحمام لتغسل وجهها .

أتى الصباح و اسيقظ الكل ،ام ملك كانت تتجهز لحفلة ما و قد اختارت افخم الفساتين و شاركتها ابنتها مروى في الامر حيث انها تشبه امها في العجرفة و التكبر و تقلدها في كل شيئ مروى اخت ملك فتاة مراهقة لم تنضج بعد و لكن شخصيتها انعدمت بسبب امها ،أما أخاها أوزان الذي قضى ليلته في البار يشرب و يدلل النساء الفاسقات لا يزال يغط في نومه العميق ،رغم انه كبير هذه العائلة و مدير شركات عديدة وفي عمر الزواج إلا انه شاب طائش متهور و غير عملي ،همه الوحيد النساء الخمر و السهر و الرحلات ،والد ملك اسيقظ باكرا و ذهب لعمله ،لا يبقى والدها في المنزل الا وقت النوم ،حتى زوجته لا يعطيها اهتماما كبيرا جعلها فقط لأشباع غرائزه الجنسية ،رغم تراكم النساء الفاتنات و الجميلات حوله الا انه لم يخنها اكتفى بها فقط فهي مميزة بنظره بجمالها و قوامها و انوثتها لا ينقصها شيئ فلم يشأ ان يجعل بحياته اثنتين لأنه لا يريد ان يتعب نفسه بمشاكل النساء التي لا تنتهي خاصة الغيرة فقرر ان يكتفي بزوجته و يقصدها في كل مرة تقرصه هواجسه الجنسية ،هل تسمون هذا حب !! لا اظن، ان الحب ليس بهذا الشكل حتى وان لم يخنها أبدا ،كيف يسمى هذا حب و هو لا يهتم لأمرها الا وقت الحاجة !! لا أعرف كيف يفكر هؤلاء البشر لقد اعمت المادة أعينهم ،حتى زوجته لم تكن لتطالب زوجها بالاهتمام و الحب و كأنها تعودت على الجفاء و غرقت في بحر المادة و جعلتها هي أساس حياتها فأصبحت المادة هي من تقود حياتها ،يا إلاهي كيف يعيشون انها رفاهية مفرطة تقتل المشاعر

استيقظ علي ذلك الشاب الوسيم ذو العينين الكبيرتين و رموش طويلة و شعر حريري ينساب على مقدمة رأسه و ذو وجه طفولي بريئ تزينه لحية خفيفة

بعد لحظات كان علي قد غير ثيابه و ودع امه قائلا :

_امي سأذهب لصاحب البيت لأكلمه بخصوص الايجار

اجابته أمه:

_لتتناول فطورك يابني كيف تذهب بمعدة فارغة هكذا

اجابها وهو يرتدي حذائه :

_كلي انت يا أمي سأشتري في طريقي شيئ آكله

ودعته امه ودعت له بالتوفيق والحفظ و خرج علي من ذلك المنزل يدعو الله ان يقبل صاحب البيت الانتظار حتى يجد عملا ،شكل رقما بهاتفه و اتصل رد عليه الرجل فقال له علي :

_السلام عليكم يا عمي صافي

اجابه صافي قائلا :

_وعليكم السلام يا علي ،كنت ساتصل بك الآن يا ولدي و بما أنك اتصلت قابلني في مقهى القرية انا هناك

اجابه علي على مضض:

_حسنا يا عمي انا قادم و انا سأتكلم معك بموضوع

اغلق علي الخط وتوجه للمقهي ،بقلب منهزم و روح مستنزفة ،يقطع الشوارع تائها مفكرا في حياته و مستقبله ،ربما يحث نفسه على الصبر و مواصلة المسير و التقدم ،وربما يجبر نفسه على المتابعة رغم كل الظروف وربما يحاول كبت كل مشاعر الحزن داخله ،ربما يستطيع في النهاية التغلب على كل المشقات ،في قلبه تعب أنهكه و اخذ منه ما أخذ حتى بات كعجوز شارف على الموت و نفسه تصرخ بأعلى صوتها و تتسائل لماذا يحدث هذا لي ،لماذا أنا غارق في هذا البؤس ،غدرت به دمعت ساخنة تساقطت من جفنه فمسحها بسرعة يواريها عن انظار الجميع

رغم انه ليس هناك من يهتم لأمره و لا يحس بحالته الا امه تلك العجوز المسكينة التي قد تموت في اي لحظة بسبب تعبها و مرضها ،يخاف كثيرا ان تتركه لوحده لن يقوى بعدها على مواصلة حياته فأمه الشيئ الوحيد الذي لا يدعه يستسلم لا للفقر ولا للحزن ولا للمشقات ،وصل الى المقهى بعد لحظات و اخذ يبحث عن صافي الى ان وجده اخيرا لوح له هذا الاخير و اشار له ان ياتي الى طاولته ذهب له علي و رحب به و جلس مقابلا له و قال له بحزن و أسى بعد ان سأله عن حاله :

_اعرف انني تأخرت كثيرا في دفع الاجار يا عمي صافي و لكن لو تصبر قليلا فقط و سأجد عملا وسأجمع المال و أسدد لك دينك ،انت تعرف مصاريف الدراسة و المواصلات و أمي المريضة و قوت يومنا بالكاد ألحق لأوفرهم

تنهد صافي و تغيرت ملامحه و سيطرت عليه القسوة ثم قال بعصبية غير واضحة :

_لقد صبرت عليك بما فيه الكفاية و كما ان البيت سأرممه قريبا و اعيد بنائه يجب ان تخرج منه يا علي

اتسعت عينا علي مما قاله صافي و اطرق راسه حزنا و قال :

_لا أعلم حقا ماذا اقول ،لكن ياعمي انت اعلم بحالتنا اين اذهب بإمرأة عجوز مسكينة

أجابه صافي بقسوة و جحود قائلا:

_ارسلها الى دار العجزة و سيعتنون بها جيدا اما انت فقدم اقامة في الجامعة و هكذا تكون امك في امان و انت تكمل دراستك و تبحث عن عمل مناسب و عندما تجد استأجر اي بيت تريد و احضر امك اليه

وقف علي بغضب و قال لصافي:

_شكرا لك لا أريد نصيحتك فأمي لن ادخلها لدار العجزة ولو بقينا في الشارع ،بالنسبة لدينك سوف اسدده لك خلال يومين

اجابه صافي بغضب :

_وخلال يومين اريد البيت فارغا

اجابه علي بعصبية :

_سنخرج اليوم لن نبقى فيه

خرج علي وتركه يزفر بحنق وهو يردد

_قليل التربية ،هذا هو جيل اخر زمان كلمة اثنان ووينفجر في وجه من هو اكبر منه ،نحن نحن لم نكن مثلهم ابدا

اجابه شخص اخر يجلس بالمقهى وكان قد سمع حوارهما من اوله فقال :

_لكن يا سيد صافي لقد استفزيت الفتى كيف تطلب منه ان يدخل امه لدار العجزة هل ترضى ان يدخلك أولادك لدار العجزة

اجابه صافي بغضب قائلا :

_انه الحل الأمثل والا ستموت المرأة ،اين سيذهب بها و الشتاء قد زادت برودته و قد يتساقط الثلج ،انظر كم انا مهتم و افكر فيهم و هو يتكبر و يظن انني اهينه

شرب صافي قهوته و نهض يتمتم بغضب و يجر اقدامه بعصبية وهو يتوعد علي و يشتمه في سره

دخل علي الى البيت و قد اخبر امه بأن تجهز نفسها سيخرجون من البيت نظرت له امه في حيرة وقالت :

_و الى أين سنذهب يا بني

فقال علي بحزن :

_لا أعلم لا أعلم

اطرقت العجوز راسها بحزن وقد عرفت ان صاحب البيت طردهم منه ، وتوجهت للغرفة و اخرجت حقيبة صغيرة و وضعت فيها بعض ملابسها اما علي فحمل محفظته و دس فيها ثيابه و كتبه و بعض من اغراضه و خرج ليجد امه تحمل حقيبة فأمسك بها ووحملها عنها و قال لها :

_هيا لنخرج من هنا ،لقد فقد الناس صوابهم حقا في هذه الحياةلا يمكنهم الاحساس ابدا

نظرات حزن اكتست وجهيهما و هما يهمان بالخروج والى اين الى الشارع ،طردهما صافي بلا رحمة ولا شفقة ،هل لديه قلب يا ترى مالذي سيستفيد عندما طرد عجوزا مسكينة مع ابنها الوحيد في هذا البرد حسبنا الله و نعم الوكيل ،ماتت قلوب الناس حقا .

وجدت قلبي

جلست ملك على احد المقاعد بالجامعة وهي تحمل قطة صغيرة بيضاء تداعبها و تقبلها ثم اعطتها بعض الجبن الذي اشترته خصيصا لها فهي معتادة ان تراها هناك ،لفت نظرها شاب يدخل للجامعة و هو يمسك بإمرأة مسنة معه انه علي و قد احضر والدته معه للجامعة و في راسه افكار عديدة ،بقيت ملك تراقبه وهو يقترب الى ان صار واضحا أمامها و فجاة تذكرت ذلك الحلم و قد عرفت ان علي هو نفس الشاب الذي راته في حلمها بعد ان ابتعد عنها بخطوات وقفت و ركضت خلفهما مستوقفة علي قائلة :

_المعذرة يا سيد توقف لحظة

توقف علي هو وامه و استدارا لها فسألها علي بإستغراب :

_هل ناديتني انا يا آنسة

انتبه علي بأنها نفس الفتاة التي اصطدم بها و نفسها التي شاهدها في الحلم فقالت له ملك :

_اريد التحدث معك بأمر ما

نظر علي لأمه التي بدت حزينة و غير مبالية لما يجري ثم قال لها :

_امي اجلسي على هذا المقعد و سأعود لا تقلقي يا حبيبتي

أومأت له براسها و تقدمت نحو المقعد و جلست عليه،بعد ان صارا بعيدين قليلا عن العجوز المسكينة قالت له ملك بلطف :

_انا اسمي ملك و أنت

فقال :

_أنا علي

ثم قال مجددا:

_ماذا تريدين مني ؟

اجابته ملك قائلة:

_لقد رأيتك بحلمي ليلة البارحة كنا سنقفز من قمة جبلية وحين قفزنا نهضت مذعورة ،لا اعلم لما أنت بذات وقد رأيتك الا مرة واحدة فقط في هذه الجامعة

انصدم علي لما سمعه فهو نفس الحلم الذي شاهده ايضا ، قاطعت ملك شروده قائلة :

_علي انا اتكلم معك لماذا انت صامت

فقال علي بتلعثم وتوتر :

_انا ،انا ايضا رأيتك !

فقالت ملك بدهشة:

_هل انت ايضا حلمت بي !

فقال :

_نعم و نفس الحلم ايضا

اعاد لها علي ما حلم به و كانت حيرتها كبيرة كيف لإثنين لا يعرفا بعضهما ان يحلما نفس الحلم كم هذا غريب و اغرب من الخيال قالت ملك :

_لما احضرت امك الى الجامعة انها تبدو مريضة

اجابها علي بتحفظ :

_اصرت امي على المجيئ معي فهي لا تريد البقاء لوحدها

ردت عليه ملك في استنكار قائلة :

_لا يبدو لي ذلك ،هل هناك خطب ما ،أخبرني هل يمكنني مساعدتك

اجابها علي قائلا بنفي:

_لالا ليس هناك اي شيئ لا تشغلي نفسك

اصرت عليه ملك و كانت قد أحست انهما واقعان في مشكلة كبيرة فقد راودها احساس غريب و صوت ما في اذنها يخبرها بهمس بأن تسأله لتعرف الحقيقة فقالت له بإصرار :

_لا تخفي شيئ يا علي الأمر واضح جدا

اندهش علي لما قالته ملك و كأنها تقرأ افكاره فقال :

_حسنا بما انك تتمتعين بالحدس سأخبرك

قص عليها علي كل الحكاية ،كيف كان يعيش في ذلك البيت و بحثه عن عمل و مصاريف المنزل و اخيرا كيف طرد من ذلك البيت ،أجهشت ملك بالبكاء رغما عنها و تأسفت من علي قائلة :

_آسفة جدا لم استطع كبح دموعي

فقال علي بحزن :

_نعم ان حالنا يدمع العين حقا ،على كل فأنا سأطلب غرفة في السكن الجامعي و سأطلب من المسؤول ان تكون امي معي اعرف ان هذا غير قانوني و ممنوع ولكن سأخبره بقصتي عله يتفهم أمرنا

فكرت ملك و قالت لعلي :

_بيتنا كبير و به غرف كثيرة لما لا تعيشان معنا الى ان تجد عملا و بالمناسبة يمكنني ايجاد لك عملا

فكر علي و قد لاحظ انها فتاة عادية لا اكثر فكيف لها ان تعيش في بيت كبير وكيف ستجد له عملا وهي بسيطة مثله ثم قال :

_لا تتعبي نفسك لا اريد ان اقتحم حياتك و افسدها

ضحكت ملك و قد لاحظ علي جمالها وجمال ضحكتها و تاه في نظرات عينيها البندقيتان الصغيرتان و كان قد لفت انتباهه لباسها المحترم فقالت له :

_ حياتي ! عن اي حياة تتحدث ،احمد لله ان لك اما تحبك يا علي ،أنا اتمنى ان تكون لي عائلة تحبني

تعجب علي من كلامها وقال :

_عفوا و اين عائلتك

فقالت ملك بلامبالاة :

_في البيت

لاحظت عدم فهم علي فقالت موضحة بحزن :

_اقصد ان عائلتي لا تهتم لي أبدا

فقال علي بوجس:

_وكيف ستأخذينا الى بيتك ان كانت عائلتك لا تهتم لك فكيف سيهتمون لأمرنا ،المعذرة يا آنسة ملك انا لا استطيع القدوم معك

هم علي بالمغادرة فأوقفته ملك قائلة :

_هل تعرف رجل الاعمال الثري المشهور رأفت

استدار علي لها وقال :

_ومن لا يعرف ذلك الرجل ،لطالما حسدت أولاده انهم يعيشون في رفاهية و بذخ

ضحكت ملك وقالت :

_انا ابنته

نظر لها بدهشة و خرجت من فمه ضحكة عالية رغما عنه ،لاحظت ملك وسامته و كم ان ابتسامته جميلة و مشرقة لولا هذا الحزن الذي يخيم على وجهه فقال غير مصدق كلامها :

_انها مزحة جميلة لم اضحك منذ وقت طويل ،اشكرك على تذكيري بأنني استطيع الضحك

ابتسمت ملك بفرح وقالت :

_العفو يا علي اتمنى ان الا تفارقك البسمة طوال حياتك

نظر لعينيها طويلا ثم قال :

_ان شاء الله ،لكن فيك طاقة ايجابية غير محدودة

تجاهلت ملك رده وقالت :

_الا تصدق انني ابنته ،نعم لا ألومك على هذا ربما كنت تشاهد صوري عندما كنت اتبع قواعدهم فكنت ارتدي ملابس يختارونها لي ، ملابس فاضحة و قصيرة و يلونون وجهي بمساحيق تغير ملامحي ،انا حقا ابنة تلك العائلة للأسف العائلة التي أجبرتني لسنوات ان اكون شخصا آخر غير نفسي لكنني تمردت عليهم و ابتعدت عن طريقهم لا يهمني الآن مالذي يفعلونه ولن افعل شيئ مما يطلبونه مني

ف

اطبق الحزن على وجه علي و قال :

_اممم حسنا و الدليل ؟

ضحكت ملك وقالت :

_ستذهب معي انت وأمك سأوفر لكما بيت، سأعتني بأمك و ستعمل عندي اذا أردت فكن حارسي الشخصي او سائقي و انصحك بالسائق لاننا ندرس بنفس الجامعة و اجر السائق مرتفع

ضحك علي رغما عنه فهو لا يزال لا يصدقها ثم قال :

_حسنا ايتها الاميرة اذا اردت سأكون سائقك وحارسك في نفس الوقت ،بالمناسبة سنذهب معك و لنرى ،ليس لي حل آخر سأفعل هذا من أجل أمي فقط انها مريضة ولا اظنها تستطيع البقاء في الشارع لو يرفض المسؤول عن السكن ابقائها معي.و كما علمني جدي يوما ما و اخبرني بهذه المقولة التي تقول(ان اعطتك الحياة فرصة فإستغلها بأكملها ،الحياة قصيرة و و بخيلة في منح الفرص ،فلا تضيع اي فرصة حتى لو كان الطريق إليها صعب)

اجابته ملك :

_ ان جدك رجل حكيم لقد اخبرك الصواب

اتصلت ملك بالسائق إمري اخبرته ان ياتي للجامعة ،ذهب علي و اخبر امه انهما سيذهبان مع ملك الى بيتها فرحت الأم و قالت :

_الحمد لله اننا لم نظل في الشارع ،وان هناك اناس رحيمة

فقال علي :

_,امي انا لا اثق في اي كان و لكن من أجلك فقط وافقت انا لا استطيع ان أتركك تعيشين في الشارع

فقالت امه :

_الفتاة طيبة يا ولدي أحسن الظن

اقتربت منهما ملك وقالت موجهة كلامها لأم علي :

_مرحبا يا خالة انا ملك

ابتسمت الأم وقالت :

_اهلا بك بنيتي يمكنك مناداتي بخالتي حسناء ،و شكرا لك يا ملك لن ننسى معروفك هذا ابدا

فقالت لها ملك :

_لم افعل شيئ يا خالتي حسناء انت مثل أمي فكيف لي ان اترككما في الشارع

في تلك اللحظة وصل السائق امري و ترجل من السيارة و تقدم نحو ملك وقال :

_انسة ملك تفضلي للسيارة

هنا شيئ من الحقيقة اتضح لعلي و امه

بداية حب

وصلت ملك الى قصر والدها و معها الخالة حسناء و ابنها علي ،فغر فاه علي لرؤيته للقصر لم يكن يتوقعه بهذه الضخامة و الاتساع ،طلبت منهما ملك ان يتبعاها فدخلا من الباب و هما يشاهدان مدى روعة البيت و الحديقة التي تحيط به ،أشجار و زهور و مساحات خضراء انه حق بيت الأحلام ،فتحت الخادمة الباب و رحبت بملك فسألتها ملك قائلة :

_هل أبي موجود هنا يا عائشة

أجابتها عائشة بإحترام و تقدير :

_نعم انه في مكتبه الآن يا آنسة ملك

طلبت ملك من عائشة ان تدخل ضيوفها الى الصالون ريثما ترجع و نظرت الى علي و قالت :

_اذهبا مع عائشة للصالون و سأوافيكما بعد لحظات لن أتأخر خذو راحتكما

سألها علي بخوف قائلا:

_لكن يا ملك ماذا لو لم تتقبل عائلتك مجيئنا

ردت عليه ملك بإطمئنان :

_ستعمل انت عندي ستكون سائقي و كل العمال هنا لهم الحق في السكن حتى وان كان لهم عائلات ألا ترى ضخامة البيت انه يتسع لكل تركيا

ضحك علي على كلامها و شاركته الضحك، بعدها توجهت الى مكتب والدها لتخبره بالأمر ،دقت ملك الباب فسمعت والدها يطلب منها الدخول فتحت الباب و تقدمت نحوه بخطوات بطيئة رفع رأفت راسه بدهشة فملك لأول مرة تدخل الى مكتبه و قد تأكد ان هناك امر مهم جدا فقال متسائلا لها :

_ملك ماذا هناك لم يسبق لك ان زرتني في مكتبي اهناك مشكلة ما ؟

أجابته بهدوء قائلة :

_أبي اريد ان اخبرك بشيئ ما

فقال الأب و قد بدا مركزا معها :

_تفضلي اخبريني

فقالت ملك :

_وظفت اليوم سائق لي ،لقد تعبت من المواصلات و اريد ان ارتاح قليلا ،اريدك ان تشتري لي سيارة

ضحك الاب و قال :

_هل هذا فقط يا ابنتي ظننت ان هناك امرا خطيرا ،حسنا يا ملك السيارة ستكون هنا بعد ساعة هل من طلب آخر

قالت ملك بتوتر :

_في الحقيقة نعم هناك امر آخر

فحثها والدها على المواصلة فقالت :

_السائق لديه أم عجوز مريضة و تحتاج للعناية و ليس لديهم بيت ،اريدهم ان يقيموا عندنا الى ان تتحسن حالهم

نظر رأفت مطولا الى ابنته وقال :

_هل تثقين بالغرباء يا ملك ،كان يجب ان تفكري قبل ان تحضريهم الى هنا

فقالت ملك نافية :

_لا يا أبي انهم ليسوا غرباء انا أعرفهم منذ مدة و الشاب انه يدرس بنفس جامعتي وهو بحاجة للعمل بشدة

فكر رأفت و قال بعد مدة :

_حسنا افعلي ماتشائين ،المهم ألا تكون هناك مشاكل فأنا لن اتدخل وقتها تعرفينني ليس لدي وقت لأحل مشاكل الناس

ابتسمت ملك و شكرت والدها و خرجت من المكتب و الفرحة تغمر قلبها توجهت للصالون لتجد علي يجلس و الخوف والتوتر يأكلان وجهه فقالت له :

_ستعيشان هنا تعالا لأريكما منزلكما

فرحت الخالة حسناء و نظرت لولدها الذي بدا محرجا من الأمر فقالت له :

_هيا يا علي هيا ولدي لا تقف هكذا ،سيفرجها الله و ستتحسن حالتنا

توجهت ملك ومعها والدة علي و علي الى بيت بجانب القصر يتكون من غرفتين و صالون و ردهة صغيرة و مطبخ و حمام في كل غرفة و حديقة ملحقة جميلة ،لم يكن علي يتوقع ان يعيش في منزل كهذا وان كان للخدم فهو بيت رائع فتحت ملك الباب و قالت لحسناء :

_تفضلي يا خالة الى بيتك الجديد

ابتسمت حسناء وقالت :

_أشكرك يا بنيتي ،ان لك قلب طيب و اسمك على مسمى انت حقا ملك من السماء

اجابتها ملك بخجل قائلة :

_لم افعل شيئ يا خالة انه واجبي فقط

دخلت حسناء للصالون و بينما علي وقف قرب الباب و لم يدخل نظرت له ملك بإستغراب وقالت :

_تفضل يا علي انه بيتك لا تخجل هذا من حقك فأنت ستعمل هنا

اجابها علي قائلا بحزن :

_آسف لأنني شككت بأمرك يا ملك

فقالت ملك بلطف :

_لا تتأسف فالكل لا يعرف من أكون و لن يصدقني احد ان قلت و هذا يسعدني كثيرا فأنا لست فخورة بهذه العائلة

نظر لها بتعجب لما قالته فأردفت ملك قائلة:

_هيا تفضل لأريك البيت و بالمناسبة اليوم ستبدأ بالعمل

اجابها علي قائلا:

_حقا و بهذه السرعة

فقالت ملك:

_ نعم ان كنت تريد ان تستغل الوقت و تجني المال لا تضيع اي فرصة تأتيك يا علي كما قال لك جدك رحمه الله

تجولت حسناء مع ملك و علي داخل البيت و اعجبها كثيرا ارتاحت نفسيتها وحمدت الله ،وجهتها ملك الى غرفتها و كانت غرفة مريحة و هادئة توجد بها سرير مريح بألوان هادئة و خزانة صغيرة و اريكة بجانب النافذة و حمام ملحق ،أما غرفة علي فكانت بها سرير و مكتب و خزانة ملابس، وحمام ملحق و بها بلكونة صغيرة بها كرسي و طاولة تطل على الحديقة الصغيرة ،أعجب علي بهذا القصر الصغير و أحس انه في حلم لم يكن يحلم ببيت كهذا أبدا ،الجميل انه سيعيش هنا بدون دفع ايجار و سيعمل و يدرس في نفس الوقت ،جلس على السرير و قد أدهشه كم هو مريح ابتسم ابتسامة توحي بفرحه و استمتاعه ،رجعت ملك الى غرفتها و اخذت حماما ساخنا و استلقت على سريرها و هي مسرورة لما فعلت اليوم ،هاقد ادخلت الى بيتها اناس تشعر بينهم بالألفة و المحبة و الحيوية ،ارادت ان تجرب دفئ العائلة و حنانها فرأت في أم علي حنانا كبيرا و دخلت الى قلبها سريعا

دقت الساعة الواحدة بعد الزوال و جهزت ملك نفسها و ارتدت ملابسها و حملت حقيبتها و همت بالخروج للذهاب للجامعة فلديها محاضرة مهمة يجب ان تحضرها ،إلتقت بأمها اثناء نزولها فأوقفتها قائلة :

_ سمعت ان أباك اشترى لك سيارة ،مالذي غيرك لقد كنت تكرهين السيارات و تحبين المواصلات.

اجابتها ملك قائلة :

_ هذا شيئ يخصني ،و بما انني لا أعني لك شيئ فلماذا انت مهمتة هكذا

قالت لها أمها بلامبالاة :

_حسنا افعلي ما يحلو لك و ليكن في علمك ان تلك العجوز و ابنها لن يظلا هنا مفهوم !

انصدمت ملك مما سمعته فقالت بغضب :

_لقد سمح أبي لهما بالبقاء ،علي هو سائقي مفهوم و اي عامل يعمل لدينا يكون له غرفة وان كان له عائلة نوفرله سكن

فقالت امها بعناد:

_لا يهمني ان وافق أباك ام لا يوافق ،لن اقبلهما هنا

تنفست ملك بعصبية وحاولت كبح غضبها ثم قالت مهددة امها :

_ان فعلت لهما شيئ فلن أوقع على اوراق تنازلي عن الورث

بما ان امها أعمت عينيها المادة فقد أخرسها هذا التحدي و استدارت بغضب و صعدت لغرفتها تزفر بضيق أما ملك فكانت تغلي من العصبية اتجهت الى المطبخ حيث الخادمة عائشة وطلبت منها ان تحضر أكلا للخالة حسناء و ان تملأ مطبخهم من كل شيئ من خصروات و بقوليات و فواكه وعصائر و ماء و حليب و غيرها ،استجابت الخادمة لها و شرعت تجهز كل ما طلب منها ،ذهبت ملك الى علي الذي كان يجلس بحزن في الردهة و يفكر بعمق قطعت تفكيره قائلة:

_السيارة جاهزة وهذه المفاتيح مبارك لك عملك الجديد

اجابها علي بحزن و قال :

_سنرحل يا ملك لن نستطيع البقاء هنا

انصدمت ملك و قالت :

_ماذا تقول انت ،هل ضايقك احد هنا !؟

فقال لها :

_جاءت والدتك و طلبت منا ان نجمع اغراضنا و نرحل

استشاطت ملك غضبا و قالت :

_اهدأ يا علي ،هي ليست المسؤولة هنا فأبي وافق على بقائكما

لم يصغي علي لما قالته و في تلك اللحظة خرجت حسناء بحزن وهي تحمل حقائبهما نظرت ملك لهما و قالت بحزن و ألم :

_لكن لماذا ،لقد تكلمت مع امي واخبرتها ان لا دخل لها فيما افعله

قالت حسناء :

_لا يمكننا التسبب بالمشاكل يا بنيتي و نحن نشكرك كثيرا لن ننسى ما قدمته لنا

حمل علي الحقائب و استدار قائلا لملك :

_أشكرك يا آنسة ملك انت قمت بمعروف لن ننساه أبدا

نزلت دموع ملك بغزارة و حاولت ان توقفهما لكنهما اصرا على الرحيل ،جلست تبكي و تتوعد امها في سرها اي ام هذه كيف لها ان تجرح الناس هكذا اين سيذهبان وكيف سيعيشان ،ظلت ملك تفكر و تفكر و لكنها تعبت من االتفكير اتجهت بعد لحظات الى محطة الحافلات و ذهبت الى الجامعة بحثت بعينيها عن علي لعلها تراه لكنه لم يأتي اين هو ياترى و اين ذهب , خيم الحزن على قلبها و لم تعرف كيف تتصرف انها في مشكلة

مر أسبوع على رحيل علي و أمه و لم تجدهما ملك في اي مكان وحتى الجامعة لم يحضر و كانت كل يوم تنتظره لكن بدون جدوى ،رجعت ملك الى البيت حزينة مكسورة و متعبة استلقت على سريرها و داهمها النعاس ،و اثناء نومها رأت ذلك الحلم الغريب ،رأت نفسها في مدينة غير مدينتها و اخذت تتجول في شوارعها انها مدينة تعرفها جيدا لكن مالذي جاء بها الى هنا ،قادتها قدماها الى مسجد كبير نظرت له بإجلال و نزعت حذاءها و دخلت الى الداخل ،اندهشت بروعته وجماله و النقوش التي بجدرانه و تصميمه الرائع و ألوان السجادات هناك انه مسجد عظيم و العظمة لله ،استدارت فجأة لتجد علي يلبس ثوب أبيض وكان يصلي بخشوع تقدمت نحوه بفرح و قد لاحظت أمامه الخالة حسناء ايضا كانت تسجد ،ارتاحت لأنها وجدتهما أخيرا ،و بدون شعور منها وقفت وراء علي و بدأت تصلي ايضا لا تعلم ما هي هذه الصلاة فجرا كانت ام ظهرا ام ركعات لله فقط المهم انها كانت تصلي بخشوع تام و عند انتهى علي من

الصلاة انتهت هي ايضا و وقفت مقابلة له و تنظر له بفرح وهو مصدوم لرؤيتها فقال :

_كيف عرفت مكاننا

اجابته ملك :

_ انه الحدس

فقال علي :

_لدينا رابط قوي ،لا أعلم ماهو

ابتسمت ملك و قالت :

_الرابط هو الزواج وما من شيئ يربط بين ذكر و انثى ليس بينهما رابطة دم الا الزواج

تلاشت صورة علي امامها و تلاشت صورة حسناء ايضا و اختفى المسجد لتجد نفسها في صحراء قاحلة و كانت تمشي حافية القدمين و حلقها ظمآن و تكاد تفقد وعيها من شدة الاعياء وكانها مشت لعدة كليومترات فجأة ظهر ذلك الرجل المغطى بالسواد فشرعت ملك تجري و تهرب منه وكان يقول وهو يلاحقها :

_توقفي ،لما تهربين مني يا ملك

اسيقظت ملك فزعة تلهث و هي تضع يدها على قلبها تتحسس دقات قلبها لاحظت انها الساعة السابعة صباحا نهضت بسرعة و غسلت وجهها و هي تقرأ أذكار الصباح ،توضأت و قضت صلاة الصبح التي فاتتها و بينما تصلي تذكرت ذلك المسجد ،اكملت صلاتها و قررت ان تذهب لتلك المدينة و ترى ذلك المسجد لا تعلم لما تريد الذهاب و لكنها أحست ان هناك شيئ ما ،طلبت من السائق امري ان يوصلها الى هناك و بعد لساعة كانت تقف قرب ذلك المسجد و كأن ذلك الحلم يعيد نفسه تقدمت خطوات و نزعت حذائها و همت بالدخول لتجده مثلما رأته تماماو كأنها رؤية و ليس حلما ،جالت بنظرها لعلها تجد علي و أمه لكن المسجد كان خال اطبق الحزن على قلبها و تجمعت الدموع في عينيها و همت بالخروج في تلك اللحظة انفتح باب لغرفة ملحقة بالمسجد ليخرج منه علي و في لحظة

بطيئة تلاقت أعينهما ببعض و الدهشة تسيطر على ملامحهما ابتسمت ملك بفرح و هي تنظر لعلي ووضعت يديها على فمها غير مصدقة انها تراه وان حلمها كان حقيقة ،اما علي فلم ينزل عينيه عليها و سؤال واحد فقط يتكرر في ذهنه :

_هل ما كنت اراه حقيقة

قطع شروده صوتها وهي تقول :

_علي لا أصدق انك هنا حقا

أجابها علي قائلا:

_ كيف عرفت مكاننا

ردت عليه قائلة :

_لقد رايتك في الحلم

فقال بدهشة :

_الحلم مجددا ،هذا غريب

تذكرت ملك ما قاله لها علي في الحلم ان بينهما رابط و لم تتذكر كلامها و ما قالته له حينها ،فقالت ملك متسائلة :

_هل حلمت بنفس حلمي

فقال علي بشك :

_ لا اظن

فقالت له :

_مالذي حلمت به انت

قص عليها الحلم و عرفت ان جزء منه فقط كان مطابقا اما الجزء الذي رأت نفسها في الصحراء لم يكن نفسه ،استغلت ملك الفرصة و سالته:

_علي اتذكر ما تكلمنا عنه في الحلم

فقال علي بتوتر :

_الا تتذكرين ما قلت

فقالت نافية :

_لا لم اتذكر و لكنني اتذكر كل شيئ عدا كلامي

فقال لها علي كاذبا :

_انا ايضا لا اتذكر

عبست ملك و قالت :

_أحس انه شيئ مهم

لم يرد علي اخبار ملك بذلك الرابط والذي هو الزواج خوفا من ان تفهمه بأنه يريد ان يتزوجها او يطمع في ثرواتها او ما شابه على الرغم من ان ملك لا تفكر بهذا الشكل أبدا ،ظلت ملك تعيد مشاهد الحلم في راسها علها تتذكر كلامها لكن دون جدوى ،تكلم علي قائلا:

_هل بحثت عنا كثيرا

اجابته ملك بحزن :

_نعم لم اترك مكانا الا وبحثت فيه و سالت عنك بالجامعة و اخبروني انك لم تأتي ،لماذا تفعل هذا يا علي هيا لنرجع للبيت أرجوك

فقال علي بغضب :

_ذلك البيت لن أرجع له ابدا ،بيت تم فيه اذلالي لا يمكنني العيش فيه ولا النظر للشخص الذي ذلني

نزلت دموع ملك وقالت بحزن ووبكاء:

_و لكن ماذا ستفعلان وهل ستظلان في هذه الغرفة هكذا

اجابها علي قائلا:

_وجدت عملا بنصف دوام و سأجمع المال واسدد ديني فصاحب البيت الذي كنا مستأجرين عنده يبحث عني و لا اريده ان يجدني حتى اجمع له ماله

تنهدت ملك بضيق و أحست انه سيغمى عليها من شدة التوتر و الحزن ،ليت علي يحس بها قليلا فهي تحاول ان تساعدهما تحاول ان ترسم البهجة على قلبيهما و من جهة اخرى أحست انها بين عائلتها وانها وجدت الأمان و الحب الذي تبحث عنهما فلا تريد مفارقتهما ابدا ،كأن هناك شيئ يجذبها اليهما ،ودعت ملك علي بألم و اعطته رقمها و اخبرته ان يتصل بها في حال احتاج لشيئ او تكرر لهما حلم جديد و توجهت للخالة حسناء التي كانت تفترش بساط على الأرض عندنا رأتها بهذا الشكل لم تتمالك نفسها كيف تنام هذه المسكينة على هذا البساط في هذا البرد اه يا علي حتى و ان لم تفكر في نفسك على الأقل فكر في امك

ألقت عليها السلام و سألتها عن حالها كانت تبدو منهكة و مريضة ،خرجت ملك من تلك الغرفة و هي تبكي بشدة و نظرت لي علي بدموعها المنهمرة وكأنها تلومه ولم تتفوه بكلمة و ركبت السيارة وغادرت ،اما علي فظل واقفا يفكر في كل شيئ و شيئ ما تحرك في قلبه يخبره بأنه على وشك ان يدخل مرحلة جديدة في حياته

رجعت ملك الى البيت و ذهبت لأمها ،عاتبتها على ما فعلته بعلي و أمه و صرخت بوجهها و تمردت و كسرت كل ما جاء بطريقها لم تكن تعي لما تفعله وسيطر عليها غضبها و صارت تصرخ و تصرخ الى ان اغمي عليها ،صدمت السيدة زليخة لما فعلته ابنتها و هرعت تجري لترى ابنتها الفاقدة للوعي ،نادت على الخادمة كي تحضر لها الماء والكلونيا ،وبعد لحظات كانت قد افاقت ملك و هي تردد علي علي لا تتركني لم تكن امها تفهم ماتقوله لأنها كانت تحت الصدمة فتحت عينيها لتجد نفسها بين احضان امها التي تساقطت دموعها لأول مرة اندهشت ملك لما تراه و ابتعدت عن امها فقالت لها زليخة :

_ملك هل انت بخير

فقالت ملك بوهن و عدم اكتراث:

_لا بأس ،انا بخير

قادتها الخادمة الى غرفتها فتسطحت على السرير و اجهشت بالبكاء

ضغوطات

هطلت أمطار غزيرة محدثة سيلا من المياه في الطرقات ،عاد علي الى تلك الغرفة بالمسجد و قد ابتلت ملابسه جراء المطر ،دخل بسرعة وهو يلهث و قد لاحظ ان أمه لا تزال تستلقي على فراشها سألها قائلا :

_امي لقد احضرت الطعام ،هيا قومي لنتناوله

أتاه صوتها الضغيف الواهن قائلة :

_لست جائعة يا بني كل أنت

تقدم علي نحوها و انحنى عليها و وضع يده على جبينها ليجد حرارتها مرتفعة جدا ،اسرع يبحث عن قطعة قماش و عندما وجدها بللها بمماء بارد و وضعها على جبينها قالت له بوهن:

_علي بني ،احس انني لست

بخير ،اظن انني أحتضر .

انخلع قلبه لما سمعه و قال معاتبا اياها :

_لا تقولي هكذا يا أماه انها نزلة برد فقط ستزول ان شاء الله

تنهدت امه بتعب و هي تعلم انها لا تقوى حتى على نزلة برد خفيفة فصحتها تدهورت و حالتها النفسية متعبة من التفكير و القلق و الحزن ،جلس علي بجانبها يتحسس حرارتها التي أبت ان تنخفض ،مما جعله يفكر بالاتصال بملك لتأخذها للمشفى ،تردد قليلا ولكنه من أجل أمه قرر الاتصال ،كانت الساعة الثامنة ليلا رن هاتف ملك و قد لاحظت انه رقم غريب ردت قائلة :

_ألو من معي ؟

أتاها صوته المتعب قائلا :

_ملك أنا علي

وقفت من سريرها بسرعة و قالت بلهفة :

_علي كيف حالك هل انت بخير

اجابها بقلق قائلا:

_انا بخير لكن أمي ليست بخير حرارتها مرتفعة جدا

ردت عليه بسرعة قائلة:

_اغلق الخط سوف آتي اليك في الحين و نأخذها للمشفى

بعد لحظات كانت ملك و علي قد أحضرا الخالة حسناء الى المشفى و تبين انها اصيبة بنزلة برد قوية و تحتاج لأيام حتى تستعيد عافيتها نظرا لأنها عجوز كبيرة و مناعتها ضعيفة

حزنت ملك على حسناء و نظرت لعلي بعتاب قائلة :

_أرءيت يا علي ،لقد قلت لك ان أمك لن تقوى على تلك المعيشة ،ارجوك عد الى البيت أرجوك ليس من أجلك هذه المرة بل من أجل والدتك والا ستندم يوما ما ياعلي

سكت علي مفكرا و قد ارهقه التفكير و انقبض قلبه و ضاق صدره لا يدري ما يفعله هل يرجع الى ذلك البيت و يرضى بالذل و يكسر كبريائه ام يحافظ على كبريائه و يرضى بكل شيئ كتب له و لكن ان حدث مكروه لأمه لن يسامح نفسه فهو من رفض فرصة جميلة و فضل الشقاء ،بعد تفكير طويل قال علي :

_حسنا يا ملك ،سترجع أمي معك و سأعمل عندك و لكنني لن ابقى في ذلك البيت ،سآتي لأطمئن على أمي كل يوم لكنني سأظل في الإقامة الجامعية

اجابته ملك قائلة :

_حسنا المهم ان تكون خالة حسناء بخير

قال لها علي يتصنع العتاب ممازحا اياها :

_هل خالتك حسناء فقط من تهمك ،وانا ألا يجب ان اكون بخير

اخرجت ملك ضحكة بصعوبة و قالت له :

_و انت ايضا المهم ان تكون بخير

شكرها علي و طلب منها ان ترجع للبيت و يمكنها ان تأتي غدا لتصطحب والدته للبيت

في صباح اليوم التالي احضرت ملك والدة علي الى البيت و اعطت لعلي مفاتيح سيارتها كي يباشر بعمله ،طلبت ملك من الخادمة عائشة ان تنتبه للخالة حسناء ريثما تجد لها خادمة خاصة فأخبرتها عائشة ان لها ابنة عمها وهي تريد ان تعمل فطلبت منها احضارها ،توجهت ملك الى غرفة امها و دخلت عليها فوجدتها تتصفح لوحتها الإلكترونية و هي تضع ماسكات للوجه و تلبس ملابس ضيقة جدا و تستلقي على أريكتها واضعة قدما فوق قدم ،نظرت لها ملك بحزن فهي غير فخورة بأم كهذه و خاصة وهي بهذا العمر فقالت ملك مهددة اياها :

_لقد أقنعت بالكاد خالة حسناء و ابنها للرجوع الى البيت و خالتي حسناء مريضة ان سمعت اي شكوى منهما فستكون ردة فعلي غير مرضية لك هذه المرة

أجابتها امها بملل :

_افعلي ما تشائين يا ملك لا اكترث

فقالت ملك بسخرية :

_ومنذ متى تكترثين لي ،انتم كلكم أصحاب مصلحة

صفعت الباب و توجهت الى حيث علي ينتظرها ليوصلها الى الجامعة ،سألته قائلة :

_هل ستبقى في الاقامة ؟

اجابها :

_سأوصلك مساءا االى البيت ثم أعود للسكن الجامعي و في الصباح سآتي مجددا لإيصالك

ردت عليه ملك قائلة:

_أليس هذا متعب لك ،لو تفكر قليلا ارجوك ،سيكون البقاء في البيت سهلا عليك

فقال بنفي

_لا سأكون مرتاحا

اجابته:

_كما تريد

جاء المساء و عاد علي الى غرفته بعد ان اوصل ملك الى بيتها و زار امه ليطمئن عليها ،استلقى على سريره و بعد لحظات من التفكير حمل ذلك الكتاب بين يده و هو يقول :

_يجب ان احرقه

فجأة انقطع الكهرباء و سمع صوت الرعد خارجا تأفف علي و قال :

_تبا انه السكن الجامعي لا يصلح فيه شيئ

بعد لحظات سمع طرقا خفيفا على الباب ،ظن انه احد ما من الطلاب الذين يقيمون هناك ايضا ربما يريد شمعة او عود كبريت هكذا حدث نفسه حمل هاتفه لنير الكاشف ليجد ان هاتفه قد انطفأ ،وضع الهاتف على السرير بقلق و قال :

_ هذا ما كان ينقصني

ثم قال بصوت مرتفع :

_ من على الباب ،لا يوجد عندي لا شمعة ولا كبريت ارجوك انصرف فأنا لا احب الغرباء

عم هدوء رهيب بالغرفة و اشتد البرودة فيها استلقى علي بجسده على السرير وقرر ان ينام لكنه لمح شيئ يتحرك ظن انه خيال او ربما يتوهم اغلق عينيه و شرع في النوم لكنه أحس بأحد ما يتنفس خلفه ليسيقظ بذعر في ذلك االظلام الدامس ،وقف علي وسط الغرفة و هو يلهث ثم قرر ان يخرج خارجها وضع يده على مقبض الباب وحاول ان يفتحه والصدمة لم يستطع فتح الباب و كأنه كان موصدا جرب المفتاح لكن لا جدوى ارتفع

مستوى الأدرينالين في جسده و أصبح يرتعد ،زاد توتره الى حد أقصى لم يستطع رؤية شيئ مما جعل الامر صعب و مخيف ،رجع الى سريره و اخبر نفسه بأنه يتوهم فقط لا يوجد شيئ وكل شيئ على ما يرام ،فأغمض عينيه مجددا ليأتيه صوت هامس قرب أذنه قائلا :

_لا تحرق الكتاب يا علي ،لا تحرقه

نهض فزعا من مكانه وهو يصرخ قائلا:

_من هناك ؟

أجابه الصوت هذه المرة وكان واضحا :

_لا تخف يا بني لن أؤذيك لك مني الأمان

رد عليه علي بتوتر و خوف :

_من أنت ؟ اظهر نفسك وماذا تريد مني؟

ضحك الرجل و قال :

_تريد ان تراني حسنا ستراني يا علي

بعد ثواني ظهر نور شديد من العدم فوضع علي يديه على عينيه من شدة الضوء لم يصدق ما يحصل له ،بعدها فتح عينيه ليرا ذلك الشيخ الابيض يقف أمامه بلحيته شديدة البياض مما زاده وقار و حكمة و عينيه الزرقاوتان الصافيتان مثل البحر و على وجهه مسحة طيبة وحكمة بالغة ،فغر فاه علي لرؤيته لهذا الشيخ و هو يقول في صدمة :

_جدي!!

ابتسم الشيخ و قال برحاب:

_نعم يا بني هذا أنا جدك

فقال علي غير مصدق :

_لكن كيف أتيت الى هنا ياجدي انت ميت منذ زمن طويل

تقدم الشيخ بخطوات قليلة و توقف وقال :

_الكتاب يابني هو همزة وصل بيننا و بين كل ما ترغب به حافظ عليه لم اهديك اياه عبثا

لم يفهم علي ما قاله الشيخ فسأله قائلا:

_كيف ذلك انا لم افهم

أجابه الشيخ :

_الكتاب الذي قررت حرقه ،أعرف انه ضايقك في أحلامك و ارتبطت أحلامك مع شخص آخر و هذا الشخص هي ملك رغم اني حذرتك من ان يلمسه شخص غيرك ثم تلمسه انت بنفس الوقت لكنك نسيت هذا يابني

فقال علي مستفهما :

_يعني انني انا و ملك نلتقي حقيقة بتلك الأحلام

فقال الشيخ موافقا::

_نعم لكنكما تظنان انكما في حلم و لو ادركتما انها حقيقة ،سيكون سهلا عليكما التواصل في الحلم

فقال علي متسائلا:

_لكن يا جدي و ما فائدة هذا ؟

اجابه جده :

_بني انا لم اعطك هذا الكتاب لتتواصل مع اشخاص في الاحلام اعرف ان حادثة ملك جرت بالصدفة و لكن من الآن احترس ان يلمس شخص ما هذا الكتاب الا اذا اردت انت ان تدخل في حلمه و تغير له وجهة نظره او تصحح له خطأ ما

هنا بدأ علي يدرك ما فائدة هذا الكتاب

فأكمل جده الكلام قائلا:

_بني تذكر دائما الفرص قد لا تأتي دائما على طبق من ذهب فهي قد تأتي على طبق من تعب ،و اعرف جيدا كيف تتصرف مع كتاب كهذا استعمله لتغير حياتك وليس للتسلية

فهم علي ما اراد جده ايصاله له و قد علم ان لديه شيئ خارقا و يجب ان يستعمله بذكاء

فقال لجده :

_كنت اعرف انني استطيع تخلل أحلام ملك و كان لي حدس بان الكتاب له علاقة

فقال له جده :

_ألهذا كنت تخيف الفتاة المسكينة

ضحك علي وقال ؛

_كنت اجرب ان افتعل لها كابوسا

فقال جده :

_لكن قد تؤذيها يا بني ،الكوابيس من أعمال الشياطين فقط و انت انسان كرمك الله

تأسف علي و اخبر جده بأنه بعدما علم طبيعة هذا الكتاب سيستعمله الا في الخير

وقف علي ينظر الى جده بحب وكان سيسأله عن شيئ ما لكنه اختفى فجأة و أظلمت الغرفة مجددا ،اصبح علي ينادي جده لكنه رحل ،فتح علي عينيه فوجد نفسه ممدا على سريره و شعر انه كان يحلم لكن ذلك الحلم غريب لقد كان اشبه بالحقيقة اخذ هاتفه فوجد انه لم ينطفئ فتأكد بأنه كان نائما و ذلك كان حلما ،كانت الساعة آنذاك السادسة صباحا ،قرر الاتصال بملك و ان يخبرها بأن تجهز بعد ساعة

بعد ساعة توجه علي الى بيت ملك و زار أمه المريضة دخل الى غرفتها و القى عليها السلام و سألها عن حالها فقالت حسناء:

_انا بخير يا علي ،كيف حالك انت لقد اشتقت لك

رد عليها علي :

_بخير بخير لا تقلقي

سألته قائلا:

_هل انت مرتاح يا ولدي

فقال:

_لا تزعجي نفسك يا أمي المهم ان تسترد عافيتك

فقالت امه:

_سأتعافى ان كنت بجانبي يا بني لما تترك امك وحدها هنا

فقال علي بحزن :

_ان ملك معك يا أمي و انا سآتي لزيارتك دائما

فقالت الام بحزن:

_لم نفترق يوما يا بني و لم تنم بعيدا عني في حياتك ارجوك ارجع و لنتقاسم كل الاوجاع معا

سكت علي قليلا ثم قال :

_حسنا يا أمي سأظل معك

فرحت حسناء لقبول علي البقاء معها و دخلت ملك و قد اخبرتها حسناء بهذا الخبر الذي أثلج قلبها فرحا

السعادة

توارت الايام الجميلة في حياة ملك ،بالنسبة لها فهي قد وجدت عائلة كما كانت تحلم ،أما حنونة و طيبة ووبيتا هادئ و جميل و شخص يهتم بها و يحميها رأت ان علي يدافع عنها و يحاول حمايتها من اي شيئ خاصة في الجامعة ،أحست انها شيئ خاص ،لم تجد هذا الامان و الاطمئنان لا في أبيها ولا أخيها و كانت كلما تعرضت للمضايقة لا تجد من يدافع عنها ،لكنها الان وجدت هذا الذرع الذي كان لها حصنا منيعا من كل أذى ،تعلقت بعلي كثيرا كما تعلقت بأمه و كانت أغلب اوقاتها تقضيها في بيت حسناء مع علي يتبادلون الاحاديث و الحكايات و قد تحسنت حال حسناء كثيرا و استردت عافيتها بل و رجعت الدماء في وجهها و دخلت الفرحة لقلبها و زارتها الابتسامة التي زينت وجهها ،و اطنئن قلب علي و شعر بألفة و راحة لم يشعرها بحياته كما انه توقف عن التدخل في احلام ملك و خاف ان يؤذيها و قرر ان يستعمل ذلك الكتاب في تغيير حياته للأفضل ،اما عائلة ملك فكانت غارقة في بحر ممتلكاتها التي أعمت أبصارهم ،فلا الأب يسأل عن ابنته ولا أم تهتم و لا اخ يبادلها الحديث و لا اخت تشاركها قصصها ،كانت ملك موجودة و غير موجودة في ذلك البيت حتى عندما كانت تقضي اوقاتها مع حسناء وعلي لم يسأل عن غيابها أحد و كأنها ليست من تلك العائلة ،كان هذا النقص الوحيد الذي تشعر به ملك رغم انها لا تبالي و لا تعيرهم اهتمام الا انها تتمنى لو تعاملها امها بحب قليلا و تحترمها اختها و يعطف عليها أخاها و يحضنها والدها ،لكن هذا لن يحدث ،وجدها علي تجلس بالحديقة وقد بدى الحزن على وجهها فتقدم نحوها و جلس بقربها و قال :

_من أحزن هذا الوجه الجميل ؟

انتبهت ملك لوجوده فقالت نافية:

_ لست حزينة انا بخير

فقال علي مستنكرا :

_لا يبدو هذا فوجهك يقول غير ذلك

ابتسمت ملك و قالت :

_كيف لي ان احزن وانا وجدتكما ،انتما اجمل شيئ يحدث لي في هذا العالم

احس علي ان ملك لها نقص كبير تجاه العائلة وقد لاحظ معاملتهم لها و كيف انه لا يسأل عنها اي احد منهم و كأنها ليست فردا منهم ،وقف علي و قال مستئذنا :

_تصبحين على خير ،يجب ان أنام باكر لأستيقض باكرا

نظرت له ملك وهمت بالوقوف وقالت :

_و انت من اهل الخير و انا ايضا سأذهب للنوم بلغ سلامي لخالتي حسناء نلتقي غدا ان شاء الله

_ان شاء الله في امان الله يا ملك

اتجهت ملك الى بيتها و قصدت غرفتها و استلقت على سريرها الناعم و اخذت تفكر في علي قائلة :

_هل يمكن ان يكون يبادلني نفس المشاعر هل عليا ان اخبره بما أشعر به ام هذا غير لائق

بينما استلقى علي على سريره و بدأ يكلم نفسه قائلا:

_يجب ان أتخلل حلمها هذه الليلة و اعرف مما تعاني

اغمضت ملك عينيها و ذهبت في رحلة نوم عميقة ،لترى نفسها امام بحر أزرق صاف و الأمواج تلامس قدميها برفق نظرت جانبا لتجد علي يجلس على الشاطئ ذهبت مسرعة له و قالت :

_انت هنا

اجابها علي :

_انا دائما هنا ،في احلامك و واقعك ولن اتركك

ابتسمت ملك و قالت له :

_وهل نحن في حلم حقا ؟ اقسم انها الحقيقة انا اراك كما ارا هذا البحر

فقال علي :

_نعم انها الحقيقة

سكت قليلا بينما وجهت نظرها للبحر تراقب امواجه الجميلة ،فأكمل علي قائلا:

_،ماذا لو اخبرتك ان هذا البحر عجيب و ان اي بشر يتكلم عن ما يحزنه له سياخذ البحر ذلك الحزن بعيدا

نظرت اليه ملك و قالت بفرحة :

_هل انت جاد ؟

فقال بشغف :

_نعم اكثر من اي وقت

جلست ملك بقرب علي و بدأت تقص عليه كل حكاية في حياتها ،معاناتها مع عائلتها و مراهقتها الصعبة و طفولتها السيئة و انعزالها عن الناس و حزنها الدفين ،اجهشت بالبكاء وهي تتكلم و تساقطت دموعها لتختلط بماء البحر فكانت اشد ملوحة منه لشدة ذلك الحزن الذي ينهش قلبها البريئ ،قرب عليه يده من خدها ومسح دموعها المتهاطلة نظرت له ملك بحب و كادت ان تقول له شيئ فأوقفها رنين المنبه ليعلن عن الساعة الخامسة فجرا استيقظت ملك من. ذلك الحلم و هناك فرحة وراحة تغمر قلبها احست انه شيئ من الحقيقة و كانها كانت معه حقا و فجأة تذكرت ان علي يحلم ايضا بما تحلم به و وضعت يدها على قلبها وهي تحسس نبضاته المتسارعة ،انتابها الخجل وهي تفكر في الامر و تقول في نفسها :

_هل حلم نفس الحلم يا ترى

بينما استيقظ علي ليصلي الفجر و كان على يقين ان ملك ستسأله عن الحلم و قرر ان لا يخبرها بأنه رآه

دقت الساعة السابعة و توجهت ملك لبيت حسناء لتلقي عليها تحية الصباح و لتناول الفطور هناك مع علي و امه كما اعتادت ،جلست على الطاولة و كلها فرح و سعادة و كأن كل حزن قد رحل من قلبها حضرت حسناء الفطور ووضعته على الطاولة و كان علي يساعدها في حمل الاطباق بينما

ملك تجلس على الطاولة و الفرح باديا على ملامحها فقالت لها حسناء متسائلة:

_أراك سعيدة اليوم يا ملك ما سر هذا الفرح

نظرت ملك لعلي و ابتسمت بينما هو تجاهل الامر و جعل نفسه يحضر الاطباق فقالت ملك وهي توجه نظرها لحسناء:

_اليوم يا خالة اشعر وكأنني ولدت من جديد انه اسعد يوم في حياتي

ثم نهضت لتعانق حسناء و تقبلها ،فضحكت حسناء وبادلتها العناق وو قالت :

_انت ألطف فتاة اراها في حياتي

ضحكت ملك وهي تعانق حسناء بود و قالت:

_وانت اروع أم في العالم ،أنا احبك يا خالة حسناء

اتسع قلب حسناء وفاض سعادة و حبا لأول مرة يعترف فيها شخص ما بحبه لها فعلي رغم انه ابنها ولكنه لم يقل لها ابدا كلمة أحبك وهاهي تسمعها لاول مرة من عند ملك تلك الفتاة البريئة ذات القلب الحنون الطاهر

اجابتها حسناء قائلة بحب:

_الله وحده يعلم كم الحب الذي اكنه لك

في هذه اللحظة وقف علي و قال بغيرة مصطنعة :

_احم و انا يا أمي لا احد يحبني

قالت حسناء وملك في نفس الوقت

_و نحن نحبك يا علي

نظر الاثنتان الى بعضهما وانفجرتا ضحكا ،ضحك علي و تقدم نحو الطاولة ووضع الصحن وقال :

_انا محظوظ جدا اذا

عم الفرح في ذلك البيت الصغير و غردت العصافير في تلك الحديقة الغنّاء و ابتهج المكان و غادر الحزن بعيدا يحمل معه الهموم والمشاكل

،لكن الفرح لن يدوم كما الحزن لن يدوم ،وهذه الحياة يوم لك و يوم عليك ،اياك ان تغرك سعادة او يحطمك حزن ،فإن طال الحزن فالفرج قريب و ان فرحت فأنت لن تبقى طوال حياتك سعيد لا بد لك من حزن و هم و كرب ومشاكل ،و لكن الانسان ليتجاوز كل هذا يجب عليه ذكر الله ،هذا هو المرهم الذي يقيك من تلك الأحزان و ان كنت غارقا بها فذكر الله يمنحك طمئنينة غير عادية و سلام داخلي لا مثيل له فتمر عليك مآسيك و ابتلاءاتك مرور الكرام هينة لينة و تتخطاها و تأتي ايام الفرح و السرور و تحمد لله على السراء و على الضراء ....

خيبة أمل

بعد شهور كانت الحياة بالنسبة لملك قد تغيرت للأفضل و هنأ بالها و ارتاحت نفسيتها و ازداد حبها لحسناء و اعتبرتها امها و عوضتها هذه الاخير عن النقص الذي كانت تعيشه ،كما زاد حبها وتعلقها بعلي الذي كان يهتم بها كثيرا ،قررت في يوم ما ان تعترف له بهذا لشعور غير آبهت لما سيحصل ، فهي لم تعد قادرة على ان تخفي هذا الحب ابدا ،و في تلك الليلة اتصلت ملك بعلي و اخبرته ان يخرج للحديقة لتتكلم معه في امر ما ،ادرك علي ما ستقوله ملك و عرف انها لم تستطع اخفاء حبها كما يفعل هو ،وقفت ملك و الحيرة بادية على وجهها لا تعرف كيف تدخل في موضوع كهذا فلم يسبق لها ان أحبت من قبل ،نظر لها علي بتعجب و قال :

_ما الأمر يا ملك ؟

تسارعت دقات قلبها و سيطر عليها الخجل و لم تجد الكلمات المناسبة و احست انها ستتهور و انها ستفعل شيئ خاطئ كادت ان تتراجع لكنها استجمعت قوتها و قالت له :

_انني اشعر بشيئ ما اتجاهك

ضحك علي و قال لها :

_شيئ مثل ماذا ؟

تلعثمت ملك و لم تتوقع ردة فعل كهذه فقالت :

_انت أقبلت تهتم بي و تدافع عني و تسعدني و حتى في الأحلام كنت لطيف معي كثيرا ،اتذكر الحلم الذي كنا فيه في البحر

اجابها بتعجب مصطنع قائلا:

_البحر ،حلم ،لم أحلم بحلم كهذا من قبل

فقصة عليه ملك الحلم فقال علي كاذبا :

_آسف يا ملك لا اعرف عما تتحدثين

سيطر على وجهها الحزن و اخفضت راسها نظر لها علي بحزن و قلبه يتألم لما سيقوله لها ولكنه يعرف انه ذلك هو الصواب يجب ان يرفض حبها ليحقق شيئ ما اولا ،نظرت له ملك بحزن و الدموع تجتمع في عينيها و قالت :

_انا أحبك يا علي

تفاجأ علي لما قالته ملك لم يتوقع شيئ كهذا ابتلع ريقه و نظر لها بدهشة و قال :

_مالذي تقولينه يا ملك ،فأنا اعتبرك مثل أخت لي

توقف الوقت و توقفت الكرة الارضية عن الدوران و توقف كل شيئ الا دقات قلب ملك في ذلك الوقت وكانت مسموعة لدرجة انها تحس بأن قلبها خرج مكانه و اصبح بين يديها ،لم تستطع قول شيئ و لم تذرف اي دمعة كأن الدموع تجمدت فجأة ،أحست ببرودة في أطرافها و كأن الدم توقف عن الجريان ،وظلت تردد داخلها (ارجوك قل انك تمزح ،اخبرني انها مزحة ،ارجوك لا تكسرني بهذا الرد)

افاقها صوت علي و هو يقول :

_ملك اين شردت ؟ مابك ؟

انتبهت له و عادت لوعيها و عاد كل شيئ يعمل و ظلت تلك الجملة تتردد داخلها فقالت له بتوتر :

_انسى ما قلته قبل قليل ،انا آسفة

ثم غادرت الى غرفتها تجر خيبتها بين قدميها ،نادمة على ما أقدمت عليه ،ظنت ملك ان علي لم يبادلها نفس الاحساس و رغم انها كانت تحس عكس ذلك فنظراته لها و غيرته احيانا عليها عندما تتكلم عن اي شاب بالجامعة كانت واضحة جدا و اهتمامه بها و كلامه اللطيف كل ذلك كان يشير لها بأنه يهيم بها عشقا لكنها تفاجأت برده القاسي عندما اخبرها بأنها مثل اخته ،لقد حطم قلبها بهذا الرد و جعلها تعود لحزنها مرة اخرى بعدما نزعه بيده ،استلقت على سريرها و لم تسقط اي دمعة كأنها لا تزال تحت تأثير الصدمة و لم تسطتع ان تذرف اي عبرة من عبراتها ،لم تشعر بنفسها كيف نامت او كيف حضر النوم لعينيها ،لتدخل مرة اخرى عالم

الأحلام الذي تجهله و تجهل سبب رؤيتها لعلي في حلمها في كل مرة ،و هذه المرة وجدت نفسها في تلك الحديقة مجددا تنتظر علي لتخبره بمشاعرها ،وقف علي مقابل لها ينتظر كلامها ففاجأته هي قائلة:

_ توقف عن المجيئ لأحلامي و اعرف انني أحلم و انك غير حقيقي و لقد اخبرتك عن مشاعري و رفضتني لما أتيت مجددا

في تلك اللحظة ظن علي ان ملك تعرف بأمر الكتاب و قدرته على التحكم بأحلامها كما يشاء فسألها قائلا :

_كيف عرفت ذلك

اجابته ملك قائلة:

_أعرف انني أحلم انه عقلي الباطن ينسج لي هذه الاحلام ارضاء لقلبي المكسور ،اذهب لا اريد رؤيتك حتى في الاحلام .

تاكد علي انها لا تعلم الحقيقة و فهم ما كانت تقصده لكنه تألم كثيرا لمعرفته ان ملك لا تريد رؤيته حتى بالأحلام.

ظلت ملك في ذلك الحلم حزينة كئيبة و تحاول ان تتخلص من هذا الحلم الذي يجعلها تتألم فقرر علي الاسيقاظ كي يجعلها تتخلص من الحلم و قد فعل ذلك فورا ،استيقظت ملك لتجدها الساعة الخامسة ،ادت صلاة الفجر و ظلت تقرأ كتاب ما لعلها تلهي نفسها عن ما راته وما عاشته ،وصلت الساعة السابعة ارتدت ثيابها و توجهت الى السيارة و لم تمر على حسناء كما تفعل في كل مرة ،قلقت حسناء و سألت علي فاخبرها انها تمر بمرحلة سيئة مع اهلها ،توجه علي الى ملك و القى عليها تحية الصباح و سألها عن حالها ،تجاهلته و قالت بتكبر مصطنع :

_ لا نتكلم مع الخدم ،و اسرع الى عملك ايها السائق الوقت تأخر

صدم علي لما قالته ملك ،انزعج من كلامها و صعد الى السيارة بغضب و كان يقود بسرعة كبيرة لم تبالي ملك لما يجري و اخبرت نفسها انه يستحق هذا التعامل فلقد اهانها البارح بما يكفي و قد حطم قلبها ،وصل علي الى الجامعة فقالت له ملك بتعجرف لم يعتد عليه :

_هيا قم و افتح لي الباب

نظر لها علي بغضب وقال :

_لماذا تتعاملين معي هكذا

اجابته بغضب قائلة :

_اخبرتك انني لا اتعامل مع الخدم ،و هيا يا سيد علي ستفوتني المحاضرة

نزل علي من السيارة يزفر بحنق و فتح لها الباب ترجلت من السيارة و هي تنظر له بحقد و غضب و قالت له مأكدة :

_لا تتأخر في المساء و ان تأخرت سأخصم من راتبك

عض علي على شفتيه محاولا التحكم في غضبه و قد فسر تصرفاتها بسبب ليلة البارحة و بسبب رده على مشاعرها

ادرك ان قلبها مكسور و هي تفعل ذلك لترضي كبريائها الذي تحطم و رغم ان علي يعرف كل هذا الا ان الامر ازعجه كثيرا فهو يكره الذل و يكره ان يقلل من قيمته وخاصة من قبل شخص يحبه كثيرا

فراق و ضياع

واصلت ملك اذلال علي بكلامها و تصرفاتها خاصة اوقات توصيلها للجامعة ،و كانت كلما راته يغادر البيت تذهب للخالة حسناء وتظل معها و لكن في تلك الفترة قل ذهابها الى حسناء التي لم تعرف سبب ابتعادها عنها ،سئم علي من تصرفات ملك التي تجاوزت الحدود كثيرا و قرر ان يكلمها في هذا ،وجدها كعادتها تجلس في الحديقة تقدم نحوها فقامت متجاهلة اياه وهمت بالمغادرة امسكها من ذراعها و قال :

_دقيقة من فضلك اريد ان اتكلم معك

ابعدت يده على ذراعها بعصبية و قالت:

_ليس هناك ما اتكلم فيه معك

اجابها علي بهدوء:

_ملك اسمعيني ارجوك اعرف ان قلبك مكسور و انك تعرضت لصدمة عاطفية و لكن هل يجب ان تعامليني هكذا كي تتجاوزي صدمتك

اجتمعت الدموع في عينيها و تنفست بعمق و قالت محاولة الا تنهار أمامه :

_لقد كنت غبية جدا عندما أحببتك ،لقد ظننت انني رأيت الحب في عينيك ،اهتمامك غيرتك و لطفك معي جعلني اعتقد بأنك تبادلني نفس الاحساس ،ولكن عندما تأكدت بأنك لا تكن لي اي شعور طردتك من قلبي للأبد و قلبي سليم و لم يكسر و لم يخلق بعد الذي سيكسر لي قلبي افهمت

شعر علي بوخز في قلبه من كلامها و أدرك انه خسرها للأبد ،عندما يعود مرة اخرى وقد حقق ما في باله سيجدها قد كرهته لكنه خاطر بذلك و قرر ان يكمل الطريق دون الرجوع للوراء و دون الالتفات للمشاعر و دون الوقوع في هذا الحب الذي لن يفيده شيئ ،بالنسبة له كان هذا هو المنطق الصائب و لكن ليس دائما ما نفكر به يكون صائبا ربما لو نظرنا للجانب

الآخر او سلكنا الطريق السهل بدلا من سلك طريق صعب ومتعب لكنا سعداء او على الاقل لن نظل بمفردنا و لكن القدر يلعب دور كبيرا

رحلت ملك و تركت علي واقفا في الحديقة يعيد ترتيب أفكاره ،في صباح اليوم التالي نهضت كعادتها وتجهزت و توجهت لسيارة التي لم تجد فيها علي كعادته بل وجدت السائق امري سألت ملك امري بوجس قائلة :

_اين علي ؟

اجابها السائق على الفور:

_لقد استقال من عمله و اخذ امه و اغراضه و رحل

كان ذلك الخبر كالصاعقة على قلبها ،أحست انها لن ترى علي مرة اخرى ،هذه المرة لن تبحث عنه و لن تترجاه ليرجع و ليس لها سبب كي تتكلم معه ،استسلمت لأقدارها و نزلت من السيارة و توجهت للحافلة مثلما كانت تذهب سابقا

عند عودت ملك للبيت وجدت حشدا من الناس يدخلون له انتابها فضول عما يحدث اسرعت بالدخول و سمعت صياحا و صراخا و بكاء تجمدت قدميها وظلت تتقدم ببطئ الى ان لاحظت امها وهي. في حالة مزرية تلطم وجهها و عينيها محمرة و متورمة لكثرة البكاء و اختها التي كانت تجلس و الدموع تنهمر من عينيها بدون توقف سألت ملك الخادمة التي كانت في صدمة هي الاخرى فقالت لها ؛

_عائشة مالذي حدث ماهذه الحالة؟

تلعثمت عائشة وقالت لملك بحزن :

_لقد توفي والدك بسكتة قلبية

وقع الخبر على ملك كالسيف الحاد ،لم يكن يوما والدها ولكنها أحست ان شيئ منها قد ضاع ،أظلمت فجأة الحياة في عيونها و نزلت دموع لا تعرف ان كانت دموع رثاء لوالدها ام دموع حزن على حياتها المؤلمة تقدمت نحو امها و وضعت يدها على كتفها وقالت :

_لله ما اعطى و لله ما أخذ ،إنا لله و إنا إليه راجعون

لم تنبس امها بكلمة و بدت وكأنها غائبة عن الواقع ،توجهت ملك الى غرفتها وغيرت ثيابها و جلست بالصالون تستقبل الناس لعزائها

مر اسبوعين و خيمت الكآبة على ذلك البيت أكثر مما كانت عليه ،بعد خبر وفاة ابيها اتاها خبر سفر أخيها الذي لم يعرف احد الى اين قد ذهب و في ظل. تلك الأحداث اعلنت كل شركات والدها عن الافلاس و تم حجز البيت الذي تسكن به ملك ،لم تتقبل امها كل هذه الصدمات وقعت ارضا كالجثة الهامدة وتم نقلها للمستشفى على جناح السرعة و اخبرهم الطبيب انها دخلت في غيبوبة ،اصيبت مروى اخت ملك بإنهيار عصبيي و كانت ملك بجانبها رغم ان مروى تكره ملك كثيرا لكنها كانت مجبرة على البقاء معها.ثم جاء ذلك اليوم الذي أخرجوهما فيه من البيت ،جمعت ملك بحزن جميع أغراضها و أخذت اختها التي كانت في حالة هستيرية لما يحدث لهم ،مروى في مرحلة حرجة في سن المراهقة لم تتجاوز بعد الرابعة عشر سنة و كم حاولت ملك ان تكسب ثقتها و حبها لكنها فشلت في ذلك هي صورة طبق الاصل من أمها ورثت عنها جفائها و تكبرها ،في ظل تلك الاحداث تماسكت ملك و استجمعت قوتها و تجاهلت كل ما يحدث معاها ،فلقد فقدت والدها و فقدت ثروتها و أخوها لا تعرف عنه شيئ و امها الممددة في المشفى لا تدري ان كانت ستفيق ام ستظل في غيبوبة ،و اختها التي لم تتقبلها و لا تريد حتى مرافقتها لو لم تكن مجبرة على ذلك ،حاولت ملك معها لكي تواسيها لكنها نفرتها وابعدتها تكلمت مروى بعصبية قائلة:

_اين سنذهب اين هل سنظل في الشارع

اجابتها ملك بهدوء قائلة:

_مروى حبيبتي لا تحزني سنجد مكانا ان شاء الله

اجابتها مروى بغضب :

_اين اين لدينا ساعتان و نحن نجول في الشوارع اين سنذهب اخبريني

تذكرت ملك خالتها سوسن التي تسكن بمدينة بعيدة عن مدينتهم و قررت ان تتصل بها ربما تستطيع قبولهما في منزلها حتى لو قبلت مروى فقط فهذا جيد شكلت رقمها واتصلت ،اخبرتها ملك بما تريد فأعتذرت سوسن لها و اخبرتها انها تمر بظروف صعبة و ليست مستعدة لأن تزيد فردين

الى عائلتها المكونة من ستة أفراد ،تنهدت ملك بحزن و هي تنظر لأختها الثائرة ،بعد لحظات قررت الذهاب الى تلك الغرفة التى بالمسجد والتي وجدت علي يسكن بها ذات مرة ،و بالفعل توجهت هي ومروى و وصلتا الى هناك و طلبت من الامام ان تقضي الليلة هناك فوافق لكن مروى لم يعجبها الحال ظلت ليلا كاملا وهي تذرف الدموع اما ملك فكانت هادئة تفكر في حل يخرجهما من هذه المصيبة ،اقتربت من اختها و ارادت مواساتها نهرتها هذه الاخيرة و قالت :

_اياك والاقتراب مني ،يكفيني ما يحدث لي فكل شيئ حدث بسببك لطالما كانت تقول امي انك فال شؤم للعائلة

ادركت ملك في تلك اللحظة ان عائلتها كانوا يعتبرونها فال شؤم عليهم لذلك يكرهونها ،ابتعدت ملك بهدوء وقالت :

_لن تتحملي العيش في الشوارع لذلك سآخذك للميتم ريثما تخرج امي من المشفى ثم تتولى رعايتك ،اما أنا فسأدبر حالي

قالت مروى بعصبية:

_لا اهتم لحالك ولا الى اين ستذهبين

ردت عليها ملك قائلة :

_الأخت نعمة يا مروى تخيلي لو لم اكن موجودة فإلى اين ستذهبين ،لا تفعلي هذا ستندمين يوما ما على معاملتك هذه

تجاهلتها مروى و آثرت الصمت عن الكلام ، عم الهدوء الا من نحيب تلك الفتاة المسماة مروى ،رق قلب ملك و تمنت ان تتصلح علاقتهما يوم ما

في ظل هذه الظروف كان علي قد حصل على منحة السفر التي كان ينتظرها بفارغ الصبر ،و قرر السفر مع أمه ،لم يكن يعلم بخبر وفاة والد ملك ولا بأمر افلاسهم و لا بحالتها و ظن انها لا تزال غاضبة منه أو انها نسيت أمره و كرهته ،بعد اسبوع سافر علي و امه تاركا ملك تعيش ما عاشه من فقر و ذل و معاناة بل وأكثر من ذلك

بعد ذلك الاسبوع كانت ملك قد وضعت اختها بالميتم و اخبرتها انها ستزورها من حين لآخر تجاهلتها اختها كالعادة و لم تعرها اهتماما ،كانت

ملك تزور امها احيانا و لكنها لاتزال بالغيبوبة ،بقيت تعيش في تلك الغرفة الملحقة بالمسجد ،لكن الناس هناك لم يعجبهم ذلك للامر و ظنوا بها كل الظنون ولأنها امراة وحيدة و لا قوة لها ،بدأت الأقاويل تصدر عنها ،قررت الرحيل من هناك و اتجهت الى مدينة اخرى حيث لا يعرفها احد هناك و جعلت من حديقة تلك المدينة مبيت لها ،و كم تعرضت لمضايقات من الشباب خاصة بالليل وكانوا يظنونها من بنات الهوى لكنها كانت تدافع عن نفسها و كانت تهرب كلما رأت مجموعة من الشباب ،الى ان قابلت عجوز ذكرتها بالخالة حسناء فكانت تشبهها قليلا ،اخذتها هذه العجوز معها و فتحت لها بيتها و اخبرتها انها تعيش هنا من سنين لوحدها وهي بحاجة لمن يعيش معها ،فرحت ملك و قررت عدم افصاح حقيقتها لهذه العجوز واخبرتها انها فتاة يتيمة و قد اخرجوها من الميتم لأنها تجاوزت سن الرشد ،حزنت العجوز على ملك كثيرا ،اعطتها غرفة صغيرة ،فقد كان بيت العجوز بيتا عاديا و لكنه جميل و دافئ ،بقيت ملك هناك مع العجوز تطبخ لها و تعينها على اشغال المنزل الى ان تذكرت عرض العمل في المطعم الذي اقدمت عليه سابقا ،فتوجهت للمقر الذي التقت فيه بتلك الموظفة ،فرأتها من بعيد فتوجهت اليها وكلها أمل على ان تعيد لها ذلك العرض فقالت :

_لقد جئت الى هنا قبل مدة و عرضتم عليا العمل بمطعم و اخبرتك انني ماهرة في صنع الكيك

اجابتها الموظفة قائلة بلامبالاة :

_وماذا بعد

فقالت ملك :

_اريد ذلك العمل ارجوك

فقالت الموظفة بتكبر:

_ولكنك رفضته ،كان عليك ان تستغلي الفرصة وقتها

ألحت عليها ملك و سألتها ان كان هناك اي عرض اخر سكتت الموظفة ثم قالت :

_ذلك المطعم تم اغلاقه فمالكه توفي و افلس

تغيرت ملامح وجه ملك و عرفت انها تتكلم عم أبيها فأردفت الموظفة قائلة :

_بما انك تريدين العمل يوجد مطعم اخر تفضلي هذه بطاقتهم و لديهم اقامة ايضا

فرحت ملك كثيرا و اخذت البطاقة و شكرت الموظفة التي ارغمت نفسها على الابتسام ببرود ، فتوجهت الى العنوان ذلك المطعم و بعد بحث طويل وصلت الى هناك و اعطتهم البطاقة و تم قبولها و طلبت منهم اقامة بسبب بعدها و تمت الموافقة، اخبروها انها ستبدأ بالعمل في يوم غد ،رجعت ملك الى بيت تلك العجوز وفي صباح اليوم التالي اخذت اغراضها و ودعتها و شكرتها كثيرا وطلبت منها العجوز ان تزورها ولا تنساها فوافقت ،ثم توجهت ملك الى الميتم لتطمئن على مروى لكن مروى لم تشأ رؤيتها فخرجت ملك بوجه عابس و حزين وتوجهت للمشفى لتجد ان امها افاقت من غيبوبتها ولكنها في حالة انهيار عصبي تام لذلك تم ادخالها للمصحة العقلية لتتعالج هناك ،حزنت ملك على امها كثيرا و دعت الله ان يخرجهم من حلق الضيق الى اوسع الطريق

العفو عند المقدرة

بدأت بالعمل في المطعم و تم منحها غرفة لتقيم بها ،كان العمل رائعا هناك و الموقع جميلا ،احست بتحس و لو قليلا ،كانت تشتاق لحسناء كثيرا و تسائلت عن مكانها فقالت ملك في نفسها :

_بما ان البلد بأكمله عرف ماحدث لنا لا يمكن لعلي الا يعرف ،لم يسأل عني حتى من باب الصداقة فقط، هل قلبه حجر لهذه الدرجة !

انتهت من العمل في ذلك اليوم و كان الوقت قد تأخر ،دخلت غرفتها و استلقت على سريرها و أخذت تفكر فيما آلت اليه حياتها وكيف انقلبت رأسا على عقب لكنها لم تنهزم بل ظلت صامدة و صابرة لم تكن تعرف انها بهذه القوة و التحمل لم تشتكي يوما واحد بل قابلت كل هذه المصائب برضى و تقبل ،داهمها النوم و لأول مرة تحلم بعد كل تلك الاحداث ،رأت نفسها في مكان واسع وجميل و الاشجار تحيطه من كل مكان و شلال بالقرب منها و هدوء جميل ،ثم ظهر من بين تلك الاشجار علي ،رأته ملك يقترب منها امتلأت عينيها بالدموع و هرعت نحوه لتعانقه و هي تبكي بشدة انصدم علي من ردة فعلها فقد كان يظن انها لا تزال غاضبة منه ،لكنه تفاجأ بها تحضنه و أحس ان هناك شيئ ما بها ،كانت تبكي بشدة و تخبره انها تفتقده كثيرا و انها وحيدة و ضائعة و حزينة و بائسة ،احتضنها علي وقال لها :

_لا تبكي ،سأكون معك قريبا ولن اتركك ابدا ،تماسك يا ملك

اسيقظت ملك من ذلك الحلم و قد شعرت براحة غريبة ،فغضبها من علي قد زال و حل مكانه الشوق و الحب ،وكلما كانت حزينة يأتيها علي في المنام و يخفف عنها ذلك الحزن كانت تفسر ذلك بأنها اشتاقت له و ان عقلها الباطن يجعلها تحلم هكذا ليخفف عنها ولم تكن تدري بأن علي يزورها حقا في منامها لقد كان حقيقة

مرت أشهر على عمل ملك بالمطعم و قد اقترب موعد التسجيل في الجامعة و لم يكن لديها المال الكافي للتسجل فلم يكن معها اي خيار الا ان تتوقف عن الدراسة و تختار العمل فهي بحاجته أكثر ،ظلت تزور امها

وتعتني بها في المصحة العقلية و تسدد فاتورات علاجها فهي وحدها المسؤولة عنها و تزور اختها مروى التي اعتادت بعض الشيئ بوجود ملك بجانبها و اصبحت تنتظرها في كل مرة لنقل ان علاقتهما في تحسن ملحوظ فملك لم تغفل لحظة عن اختها بل ظلت تهتم بها و تشتري لها الثياب و الاغراض ،و منحتها الأمان و الحب فخضعت مروى لملك و استسلمت لرابطة الاخوة التي تجمع بينهما ،اما أم ملك فقد بدأت تتحسن حالتها شيئ فشيئ و بدأت تحس بالأمومة تجاه ابنتها ملك و كانت ملك تخفف عنها و تشجعها على التعافي و تنصحها و تهتم بها وفي كل مرة تشتري لها الهدايا لعل حالتها النفسية تتحسن ،في السابق لم يكن اي من عائلتها يهتم بها و كانوا يعتبرونها فال شؤم عليهم و عندما اسقطتهم الحياة لم يجدوا سوى فال الشؤم هذه لتنتشلهم من مصاعب الدنيا ،حقا ان الحياة غريب ،قد نخطئ في حق أشخاص لا نجد بعدها سواهم عندما نسقط و قد لا. نجد من يمدنا بيد العون الا أولئك الذين آذيناهم بشدة و لأن قلوبهم رحيمة وطيبة لن يتركونا لنتخبط أكثر فهذا يسمى العفو عند المقدرة ،كانت ملك تستطيع ان تعيش لوحدها و تترك اختها في ذلك الميتم تفعل ماتشاء و تنسى امر امها التي لم تعتبرها ابتها وتتركها لتكمل حياتها كمريضة عقليا ،لكن ملك لديها ضمير لديها قلب لم تكن تكره عائلتها بل كانت تكره تصرفاتهم كانت تتمنى ان تجتمع يوما ما معهم و تتبادل الحديث و تشعر ان لها عائلة تحبها و تحميها و لكن تشتت هذه العائلة قبل ان ترى ملك ذلك اليوم ،مسكينة ملك لم ترى يوما جميلا في حياتها

لقاء

اسيقظت ملك ذات يوم و شرعت بالعمل كعادتها و كانت في ذلك اليوم ستزور والدتها التي وعدتها بقالب كيك المفضل لها ،بعد ساعات اسئذنت من رئيس عملها وتوجهت للمصحة حيث والدتها ،تقدمت ملك الى الكرسي الذي تجلس عليه السيدة زلخية و كانت تبدو شاردة الذهن منقطعة تماما على الواقع ،تكلمت ملك قائلة :

_مرحبا أمي كيف حالك اليوم

انتبهت زلخية لأبنتها ملك و قالت متسائلة بحزن :

_ هل انا انسانة سيئة هل حدث لي هذا كجزاء لأفعالي ؟

جلست ملك بجانبها ووضعت علبة الكيك بالقرب منها و قالت :

_تعطينا الحياة دائما فرصة كي نصحح أخطاءنا و الجميل عندما نستغل تلك الفرصة و الأروع الا نكرر نفس الأخطاء

نظرت إليها زلخية و أمعنت النظر طويلا فإبتسمت ملك لها و قالت :

_لقد احضرت لك قالب الكيك الذي تفضلينه

شكرتها زليخة و قالت لها :

_لقد اخطأت بحقك كثيرا يا ابنتي

وضعت ملك يديها على يد امها و قالت :

_لا داعي لنتذكر الماضي ،فلنتفتح صفحة جديدة و نعيش بهدوء

ابتسمت زليخة و اخذت قطعة من الكيكة و تذوقتها بإعجاب و حب ،شعرت ملك بالسعادة تغمر قلبها ها هي امها قد تغيرت و أصبحت انسانة جيدة ،أحيانا قد تحدث لنا صدمات في حياتنا ليس لنحزن و نبتلى فقط بل لتتغير نظرتنا للحياة و تتغير طباعنا السيئة لنرى أشياء لم نكن نراها من قبل و الاهم لنحس بالأشخاص الذين هم بحاجة لنا ،بالنسبة لزليخة فقد عرفت الآن الخطأ الذي ارتكبته في حق ابنتها ،و أدركت انها اهملتها فوق

اللزوم فاسيقظت امومتها أخيرا رغم ان الأمر متأخر الا ان ملك راضية عن ذلك المهم ان تحبها والدتها وتتقبلها كإبنة لها

رجعت ملك الى المطعم لتكمل عملها ،بينما كانت تجهز نوع من الكاب كيك نادتها النادلة قائلة :

_ملك هلا ساعدتني قليلا

اجابتها ملك :

_نعم فيم أساعدك يا لبنة؟

ردت عليه لبنة قائلة :

_هناك شخص طلب كاب كيك حضريه و خذيه انت ،لدي عمل صغير و سأعود حالا

وافقت ملك على مضض واخبرته ان تأخذ راحتها ستقوم هي بعملها ،حضرت ملك كاب كيك و اخذته للطاولة حيث الشخص الذي طلبه ،تكلمت قائلة له بإحترام :

_تفضل طلبك سيدي ،هل من طلبات اخرى فنحن بالخدمة ؟

تفاجأ الشخص بهذا الصوت فهو يعرفه جيدا رفع رأسه لينظر لصاحبة الصوت و اذا به ينصدم ،صوبت ملك عينيها نحوه لتنصدم هي الأخرى و قالت بتعجب :

_ علي !

ضلّا ينظران لبعضهما البعض لم تصدق ملك ما تراه يبدو على علي الثراء ،يرتدي بدلة رسمية أنيقة و فخمة و ساعة يد غالية و يحمل هاتفا من آخر طراز ،ظنت في بادئ الامر انه شخص يشبهه لكنه تكلم قائلا:

_ماذا تفعلين هنا يا ملك ؟

اجتمعت الدموع في عينيها و هربت من أمامه بسرعة و توجهت لغرفتها التي بالمطعم و ألقت نفسها على السرير باكية

اما علي فكان مندهشا و يتسائل في نفسه :

_ما الذي اجبرها على العمل هنا ! هل طردها أهلها من المنزل ؟

ثم حدث نفسه قائلا:

_يجب ان أسألها ،يجب ان أعرف ما حدث لها

قام علي من مكانه و سأل احد العمال هناك قائلا:

_عفوا يا سيدي اريد ان أسألك سؤال مهما

اجابه النادل قائلا:

_تفضل يا سيدي

فقال علي :

_تلك الفتاة ،اقصد ملك التي تعمل هنا اين تقيم ؟

اجابه النادل بعدما عرف انه يتلكم عن ملك فقال :

_انها تقيم في المطعم لديها اقامة هنا و لا أحد يعرف عنها شيئ هي فتاة كتومة و لا تتكلم كثيرا

شكره علي و اخبره ان يدله على غرفتها لكنه رفض لأنه ممنوع دخول غرف العمال ،فأصر عليه كثيرا و اخبره انه يعرفها منذ مدة و يجب ان يتحدث معها ،اخبره النادل انه سيطلب له الاذن من رئيس العمل الذي رفض فيما بعد و طلب من ملك ان تلتقيه خارجا

استجمعت ملك قواها واخبرت النادل ان تقول لعلي انها لن تقابله و طلبت منه ان يخبره بأن يذهب من هنا و لا يعود ثانية

اخبر النادل علي بما قالته ملك ،فتوجه لسيارته و جلس و يفكر فيها و يفكر في حالها لما تعيش في مطعم و مالذي حدث لأهلها قرر الذهاب يوم غد الى بيت أهلها ليسألهم عن سبب الذي جعل ملك تترك البيت ،عاد لمنزله مساءا و أخبر والدته حسناء بأمر ملك فأصرت عليه حسناء ان ترى ملك او ان يحضرها للمنزل لكنه اخبرها ان ملك غاضبة منه كثيرا و ظن انها لا تزال غاضبة من رفضه لها

جلست ملك على سريرها و هي تتذكر لحظة رؤيتها لعلي و شكله و كأنه شخصية مهمة ،تساءلت في سرها عن حاله و كيف تغير هكذا ،لقد كان فقيرا و لا يملك حتى قوت يومه ثم ضحكت مستهزأة و قالت تكلم نفسها:

_البارحة كان فقيرا لا يملك حتى منزلا و كنت انا أملك كل شيئ و اليوم هو ثري جدا و انا أصبحت لا أملك حتى بيتا ،كم هي رائعة الحياة حين تقلب الموازين و تغير الاقدار

تسطحت على سريرها و تمنت الا ترى علي في حلمها مرة اخرى لكنها لا تستطيع السيطرة على أحلامها ،فرأته وهو يقدم نحوها و يعانقها بشدة و هو يقول :

_اشتقت لك يا ملاكي ،اشتقت لك كثيرا

ابعدته ملك عنها و قالت :

_ غبت كل هذه المدة و لم تسأل عني ولا عن احوالي و لم تبحث عني و رغم انك تعرف ما حل بي

رد عليها علي متساءلا :

_و ما الذي جرى لك ؟

اجابته بسخرية قائلة :

_لا تتصنع عدم المعرفة كل البلد يعرف ما آلت اليه عائلتي

تعجب علي و قال مستفهما :

_أقسم لك انني لا اعرف شيئ ،كما انني تفاجأت عندما عرفت انك تعيشين في اقامة المطعم

كادت ملك ان تخبره بما حدث لها و لكن ايقظها رنين هاتفها المحمول اسيقظت من حلمها وهي تتعجب و تقول في نفسها :

_أحقا أنا أحلم ام انني أهلوس فقط،انها أحلام غريبة جدا ،أراه كأنه حقيقي

حملت هاتفها لتجدها الساعة السابعة ووجدت مكالمة فائتة من أختها استغربت كثيرا فهي لم تتعود على اتصالها ابدا وكما انها لم تزرها منذ مدة ،عاودت الاتصال بها على الفور اجابتها مروى قائلة:

_صباح الخير ،هل ازعجتك بإتصالي

اجابتها ملك بنفي قائلة:

_صباح النور ،لا لم تزعجيني ،هل انت بخير

_اريد زيارة امي هل تأتي اليوم و تأخذيني اليها

_حسنا يا مروى سوف اطلب اذن بالخروج و آتي حالا

اغلقت ملك الخط و جهزت نفسها و طلبت من مديرها الخروج لزيارة امها و توجهت الى الميتم لتصطحب اختها

ذهب علي الى المنزل الذي كانت تقيم فيه ملك ،ركن سيارته بالقرب من الباب و ترجل منها ليجد ان الباب الرئسي مغلق تماما و كان البيت فارغا من اي بشر ،رأى شخصا يمر من هنا فسأله عن أهل البيت فأخبره بكل ما حدث ،صدم علي لما سمعه و عرف لما ملك غاضبة منه فهي تظنه يعرف كل ما حدث و لم يسأل عنها ،ازدادت رغبة علي بمقابلة ملك و اخبر نفسه بأنه الوقت المناسب ليرد لها الجميل ،فقبل ان يحقق ثروته هذه ،ساعدته ملك و فتحت له بيتها و اعتنت بأمه كيف له الآن ان يتركها لوحدها وهي بأمس الحاجة له ،توجه للمطعم الذي تعمل به و سأل عنها هناك فأخبره احدهم انها ذهبت لزيارة امها بالمصحة و اعطاه العنوان ،اسرع علي ليصل للمصحة و دخل الى الحديقة و بدأ يبحث عن ملك بعينيه لكنه لم يجدها و قرر ان يقف قرب الباب لعلها تخرج ان كانت بالداخل او تدخل ان كانت لم تصل بعد ،بعد ساعة من الانتظار لاحظ علي ملك و هي تخرج من المصحة ومعها اختها مروى تقدم علي ناحيتهما و قال :

_ملك اريد التحدث اليك

تفاجأت ملك بوجوده و انتبهت له ثم قالت :

_ليس لدي ما اتحدثه معك

فقال علي مبررا :

_انا لا اعرف حقا ما حدث معك يا ملك اليوم فقط عرفت لأنني ذهبت الى منزلك لسأل أهلك عن سبب بقاءك في اقامة المطعم

قالت ملك بعصبية :

_لا يهمني ،ابتعد عني و لا اريد رؤيتك افهمت .

امسكت ملك بأختها و اكملتا المسير تكلمت مروى قائلة :

_أليس هذا هو الشاب الذي احضرته هو وامه لمنزلنا قبل عامين

فقالت ملك بإقتضاب :

_نعم

ضحكت مروى و قالت :

_ افلسنا نحن فأصبح هو ثري ،يا للعجب

نظرت لها ملك وقالت بغضب :

_لا يهمنا حاله ولا ثروته ،ليفعل ما يشاء و ليكون ما يريد .

وقف علي حائرا ،كيف يستطيع اقناع ملك بالحديث معه كيف يطفأ غضبها ،توجه لسيارته و اتصل بأمه اخبرها ان تجهز نفسها ليأخذها لمشوار صغير ،قرر علي استهداف عواطف ملك و استعمل ورقته الرابحة وهي أمه فملك تحب حسناء كثيرا و تصدقها و تثق بها و ان قصت عليها حسناء كل ما حدث لعلي فسوف تصدقها و تفهمه و تقبل الحديث معه ،لم يتوقف علي عن حبه لملك حتى و ان فقد الأمل في ان يجتمعا مرة اخرى ،لم تدخل لقلبه فتاة لا قبلها ولا بعدها ،بعد ان رفضها ذلك اليوم لم يكن الا لمصلحتها و لو عرفت لكانت قدرت ذلك جيدا ،ظل يزورها في الأحلام رغم ان جده حذره لمرات عديدة من تخلله لأحلامها ،لكن علي كلما اشتاق لها ظهر في حلمها ،أصلح علي كل أحواله عن طريق ذلك الكتاب لكنه لم يفلح في ان يصلح علاقته مع ملك ،فكانت عنيدة بكل الاحوال في الاحلام و في الواقع ،توجهت السيدة حسناء مع ابنها علي الى المطعم الذي تعمل به ملك ودخلت هناك ،حجز لها علي طاولة و ذهبا ليجلسا ،فاخبر علي النادل بأن ينادي لملك و يخبرها بأن السيدة حسناء تريدها ،اخبر النادل ملك على الفور و التي ذهبت بسرعة لتلتقي حسناء،و تقابلتا بعناق طويل و بكاء و شوق ،مسحت ملك دموعها وهي تقول :

_لقد اشتقت لك كثيرا كثيرا يا خالتي حسناء

فردت عليها حسناء بود و حب:

_و أنا ايضا يا ملك

فقالت ملك بعتاب :

_اهكذا تتركينني يا خالتي و لم تودعيني ذلك اليوم ،لم استطع تجاوز فراقك ابدا

انهارت ملك بالبكاء فأجلستها حسناء بقربها و قالت:

_حبيبتي ايمكنك المجيئ معي لنتكلم على انفراد و اعدك ان لا اعطلك على عملك

ردت عليها ملك :

_لا مشكلة يا خالة سوف ارتدي ملابسي و اخرج انتظريني خارجا

همت بالنهوض ثم صوبت نظرها لعلي الذي كان يجلس صامت منذ البداية ثم قالت لحسناء بهمس :

_ولا اريد هذا معنا

و اشارت لعلي

ضحكت حسناءو قالت بلطف :

_حسنا ستكون جلسة نسائية

ابتسمت ملك وغادرت لغرفتها لترتدي ثيابها و بعد لحظات توجهت الى حسناء و علي و ركبت معهما السيارة و توجهوا الى بيت علي ،عندما وصلوا تفاجأت ملك بمنزل جميل و فخم و حديقة كبيرة و مسبح ،لا تريد ان تسألهم كيف حصلوا على هذا كله و ارادت ان تعرف منهم ،تقدمت ملك تتبع حسناء الى الداخل فأدخلتها الى الصالون و جلستا هناك اما علي فقد جلس بالحديقة ،طلبت حسناء من الخادمة ان تحضر عصيرا لكلاهما و جلست قرب ملك و بدأت تحكي لها عن كل ماحدث معهما بطريقتها فقالت

اعتراف و حقيقة

_عندما رحلنا من بيتك يا عزيزتي ملك ،كان علي يملك بعض المال الذي جناه من عمله عندك و توجهنا الى فندق بمدينة بعيدة ،و قد وجد علي عملا هناك بالفندق كان يعمل نادلا للغرف لأن لديه ديبلوم فندقة فكان سهلا عليهم أز يوظفوه بسرعة ، و منحونا إقامة مجانية طيلة فترة العمل و بقينا هناك مدة و كان علي قد قدم طلبا للسفر للخارج ليكمل دراسته هناك و بعد فترة قصيرة جاءه الرد بأن تم قبوله في جامعة كبرى و جهزنا انفسنا للسفر و كان الأمر سريعا جدا ،الأوراق الشهادات و الجوازات و كل شيئ كان مرتبا له و انطلقنا متوجهين لتلك البلاد التي لا نعرف فيها أحد ،اخذني علي معه للإقامة و قد تم قبولي هناك الى حين يجد عملا و نقوم بكراء منزل ،درس علي في تلك الجامعة ادارة الأعمال و لم يمر وقت طويل و جاء علي مسرورا يخبرني انه نجح و تخرج ،و بعد وقت قصير ايضا قد حصل على عمل في شركة ما و أصبح يكرس وقته للعمل فقط ،منحته تلك الشركة منزلا و سيارة للعمل و انتقلنا هناك و لمدة عامين ،استطاع علي ان يفرض نفسه و يكون ثروته و مشروعه الخاص و اشترى اسهم بنسبة 30٪ من تلك الشركة و اصبح المدير التنفيذي لها و ارتفع دخله و تخلص من سيارة الشركة و اشترى لنفسه سيارة جديدة اما البيت فلقد اخبرني انه عندما نعود للوطن نشتري بيتا جميلا هناك ،بعدما حقق علي نجاحه في العمل فتح فرعا للشركة في بلادنا و قرر ان يرجع و يستقر وهنا و يتابع الأعمال بهذا الفرع ،وافقت الشركة على طلبه و تم منحه الفرع و رجعنا للوطن و اشترينا هذا المنزل و اصبحت حياتنا سهلة و ميسورة و الحمد لله اين كنا و اين اصبحنا ،عندما سافرنا لم نكن نعلم بما حدث لك ولا لعائلتك ،لا اعلم يا بنيتي مالذي حدث بينك و بين علي و لكنني اعرف شيئ واحد فقط ان ابني يحبك كثيرا ،لم يسبق له ان تكلم لي عن فتاة ابدا و لكنه كان دائما يكلمني عنك يخبرني انه نادما لما فعله معك و لم بخبرني عن ما فعله ،احيانا يسيطر عليه الحزن فيقول لي ان المال ليس كل شيئ في هذه الحياة الحب هو اساسها ،فأخبره انه على حق ،لطالما وجدته يهلوس بإسمك في ايام مرضه و في نومه ،لقد كان علي مجبرا على السفر و الا لما وجدته الان يقف امامك بثقة و لكننا

لم نعلم حين عودتنا بأننا سنجدك بهذه الحالة ،اطلب منك يا ملك ان تمنحيه فرصة ليتكلم معك انه يتعذب كثيرا ،لقد عاتبته يوما و قلت له يا ولدي لماذا لم تخبر الفتاة عن مشاعرك لما اخفيت عنها هذا على الاقل كنت قد طلبتها لك من أهلها فأخبرني بحزن انه لا يمكنه ذلك لا يمكنه ان يعذبك بالفقر هكذا قال ووقال انها لا تقوى على العيش في الفقر الذي اعيشه كيف ساعتني بها كيف احرمها من ثروتها واحضرها لتعيش معي العذاب يجب ان احقق ما في بالي ،و ان تحقق و رجعت لها ووجدتها لن اتخلى عنها و ان لم أجدها سأرضى بهزيمتي المهم هو راحتها هي ،هكذا قال يا ملك لم يكن علي ينوي مفارقتك ابدا و لكنه اضطر و كل هذا الذي ترينه الان من نجاح و ثروة كان لأجلك فقط

اكملت حسناء كلامها حملت كأس العصير لتشرب منه رشفات متتالية تبلل بها ريقها الذي جف جراء حديثها المتواصل ، اما ملك ضلت صامتة و دموعها تسيل بهدوء على وجنتيها ثم قالت لحسناء بعد تفكير طويل :

_المنطق الذي فكر به ليس صحيحا ابدا ،كيف يمكنه ان يحكم عليا و لم يسألني عن رايي و كيف يظن انني لا أتحمل الفقر بسبب انني اعيش رفاهية ،انظري يا خالة انظري اين الرفاهية الآن ،لقد عشت في فقر لمدة عامين و أشهر كثيرة هل ترينني منهارة ام لم اتحمل ،لقد تحملت كل شيئ ،تحملت النوم في الحدائق العمومية ،تحملت البرد و الحر و الاهنات و المضايقات ،تحملت الذل ،ولا أزال اقف على رجلاي ،كيف يظن انني لا اقوى على الفقر

في تلك اللحظة كان علي يسمع ما كانت تقوله ملك وهو غير مصدق ما يسمع تقدم نحوها و جلس و قال :

_أنت محقة المنطق الذي فكرت به خاطئ ،لم يكن علي ان اتركك

وجهت ملك نظرها له و قالت:

_لا ينفع الندم اليوم يا سيد علي

وقفت حسناء وتركتهما ليحلا مشاكلهما لوحدهما ،اجابها علي :.

_لست نادما لأنني فعلت كل هذا لأجلك

فقالت بحزن :

_لكنني لم أجدك في أكثر أيامي بؤسا

فقال علي :

_لقد كنت في أحلامك وقد زرتك عدة مرات

انهدشت ملك لما قاله علي و سألته قائلة:

_كيف تعرف ذلك ؟لقد كنت حقا اراك في أحلامي ،هل كنت ترا نفس الحلم ايضا ،لقد اخبرتني ذات مرة انك لم تعد تحلم نفس حلمي

فقال علي متلعثم و قد ادرك للتو انها زلة لسان :

_لا اعلم المهم انني كنت اراك في احلامي

فقالت ملك بإستغراب :

_ماذا حدث لك ،لقد رفضت حبي في المرة السابقة ،مالذي جرى حتى غيرت رأيك ،ام لازلت تعتبرني اخت لك

نظر علي لملك و قال :

_ أنا أحبك كثيرا

ازدادت دقات قلبها وسرعان ما تمالكت نفسها وقالت كاذبة:

_و أنا اكرهك كثيرا

فقال علي ضاحكا :

_لا يبدو عليك هذا ،فأنت لم تنسيني وكنت تشتاقين لي كثيرا ،اتذكرين حين عانقتني

زل لسانه مرة اخرى و قد انتبه انه يتكلم عن منامها فتوقف عن الكلام عندما رآها مندهشة مما قاله فقالت ملك :

_لما تخفي عني بأنك ترى نفس أحلامي

قرر علي ان يخبرها بالحقيقة فقال :

_حسنا سأخبرك بشيئ ما ،لكن اريدك ان تأتي معي لأريك بيتك الجميل

تجاهلته ملك و قالت بضيق :

_ يمكننا التحدث هنا و بالمناسبة هذا ليس بيتي

فقال علي بعناد :

_بل بيتك

فقالت بغضب :

_انه ليس بيتي

فرد عليها بعناد مرة اخرى:

_بل بيتك ايتها الأميرة

فقالت بعصبية :

_ليس بيتي ليس بيتي انه ليس بيتي

فقال علي بصوت مرتفع :

_سأخطتفك اذا لن تخرجي من هنا ،حتى تسامحيني و تقبلين حبي لك

فقالت ملك بتحدي :

_سأهرب اذا

ضحك علي و قال :

_لا تسطعين الهرب ،لا مهرب لك الى اليا

استسلمت ملك و قامت معه لترى البيت و بعد جولة طويلة جلسا في الحديقة تكلم علي قائلا :

_اتذكرين ذلك اليوم الذي اصطدمنا فيه ببعضنا

فقالت ملك بإقتضاب :

_نعم اذكر

ثم قالت بسخرية

_هل وقعت في حبي في ذلك اليوم

فقال علي بضحك :

_لقد سقطت كتبي على الأرض

فردت عليه باستهزاء :

_نعم انه مشهد درامي هوليودي و تلاقت الاعين ببعضها و توقف الزمن و توقفت الحركة و توقفت الكرة الارضية و توقف الناس جميعا و نبضت القلوب حبا

ارتفعت ضحكة علي و قال :

_تصلحين لتكوني كاتبة رائعة

قالت :

_نعم سأكتب يوما ما ان هناك رجل كسر قلب أنثى و تركها ثم عاد ليرمم ما كسره و ليكن في علمك ان الكاس الذي سقط لن يعود كأسا

فقال علي ممازحا :

_وماذا ان كان الكأس من البلاستيك

استشاطت ملك غضبا و همت بالنهوض فأوقفها علي و طلب منها الجلوس ووعدها الا يمزح ابدا و تكلم معها بجدية قائلا:

_سأكلمك في أمر مهم اصغي اليا

سكت قليلا ثم واصل :

_ذلك الكتاب الذي امسكته بيدك و اعطيتني اياه ثم اخذته منك بقوة وكنت مضطربا ومتوترا

فقالت له ملك في اهتمام :

_مابه ؟

فقال علي :

_ذلك الكتاب اعطاه لي جدي عندما كنت صغيرا و طلب مني ان احتفظ به و قال لي بأنه كتاب مهم و عجيب لكنه خال من أي معلومات

فقالت ملك متسائلة:

_واي عجب في كتاب خال من المعلومات

فقال علي موضحا :

_من يلمس هذا الكتاب يصبح معرضا لأخترق احلامه و أزوره فيها و اتحكم بها أيضا و هناك ميزات اخرى يتمتع بها ايضا

ذهلت ملك لسماعها هذا الكلام و جالت في ذهنها افكار كثيرة ثم قالت :

_هل هذا يعني انك كنت تأتي في حلمي بإرادتك انت و ليست تلك الأحلام من عمل عقلي الباطن

فقال علي :

_لهذا كنا نرى نفس الحلم ،في بادئ الأمر لم اكن ادري ما افعله و كان كل شيئ يسير عكس ما اريد كأن افتعل لك كابوسا او حلما مزعجا ،لكن جدي اخترق حلمي ذات مرة و اخبرني ان تلك الاحلام تؤذيك و لم تكن بإرادتي و حين فهمت المغزى من هذا الكتاب استعملته الا في الخير .

فقالت ملك بتعجب:

_غريب حقا لو لم تخبرني بأحلامي كما حلمت بها لما صدقت هذا الكلام

فقال علي :

_ليس الاحلام فقط من يتحكم بها ذلك الكتاب هناك امور اخرى عجيبة اكتشفتها و قد حققت كل هذا بسبب الكتاب ،فالمدة التي يفترض عليا اجتيازها لأصل لما انا عليه ربما عشر سنوات او اكثر لكن بفضل الله الذي منحني ذلك الكتاب العجيب استطعت تقليص تلك المدة لعامين

فكرت ملك قليلا ثم قالت :

_لا تدخل في احلامي مرة اخرى

فقال علي :

_حسنا اذا كل ماعليك فعله هو اعادة لمس ذلك الكتاب و سيكون كل شيئ على مايرام

ذهبت ملك مع علي الذي اخبرها بمكان الكتاب و فعلت كما طلب منها فقال لها علي:

_الآن لن تحلمي بي ابدا

شعرت ملك بالحزن فاكمل علي كلامه :

_بل سأكون في واقعك و بجانبك دائما لن تحتاجي للأحلام حتى تريننني لأنك ستكونين امام عيني في كل وقت

نظرت ملك لعلي ثم للساعة التي بالحائط لترى ان الوقت تأخر كثيرا و قد يطردها المدير فقالت بخوف ووهي تهم بالذهاب :

_يا إلاهي لقد تأخر الوقت و يجب ان اذهب للمطعم لقد تأخرت عن العمل

طلب منها علي ان يوصلها ،وبعد عناد قبلت ،بعد لحظات كانت قد وصلت ووجدت الكل في انتظارها ،وبخها مدير المطعم و فصلها عن العمل بسبب انها اصبحت متهاونة كثيرا و قد كثرت غياباتها في الفترة الاخيرة ،جمعت ملك اغراضها بحزن و خرجت من المطعم ،قررت ان ترجع عند تلك العجوز الى ان تجد عملا آخر لكن علي لاحظها و عرف ما حدث فنزل من سيارته و طلب منها ان تذهب معه لم توافق ملك و ظلت تعانده و رفضت المجيئ معه لكنه اصر كثيرا و كان يلحقها و هي تمشي في الطريق متجاهلة اياه في تلك اللحظة تساقط مطر غزير فتوقف علي و قد تبللت ملابسه و قال لملك بصوت عال التي توقفت عندما سمعت كلامه :

_في يوم ما كانت هناك فتاة جميلة و طيبة ،لا اعلم من اين جاءت و كأنها سقطت من السماء ،كقطرة المطر اللامعة ،دخلت الى قلبي بدون استئذان و وقتها كنت بحاجة للحب أكثر من حاجتي للمال ،فمدت يدها لي و فتحت لي قلبها قبل بيتها و أغدقتني بإهتمام و أحسنت الى أمي و اعتبرتها أمها ،رأيت البراءة في عينيها و كان حبي لها يزداد كل يوم ،نعم لقد كنت جبانا جدا عندما لم اخبرها بحبي حسنا أنا جبان ،لقد جرحت تلك الفراشة التي كانت مفعمة بالحيوية و النشاط و كسرت جناحيها و فرحتها و تركتها تتخبط لوحدها و لكن كان مقدر لنا ان نبتعد هكذا ليعيش كل منا أقداره التي كتبت له و ها أنا الآن عدت اليها أحمل قلبي التائه الذي لا يعرف طريقا الا طريقها و لا يمكنه ان يهنأ الا بقربها

استدارت ملك و كانت قد تبللت بأكملها بمياه المطر و اقترب منها علي و تواجها وجها لوجه و تكلم قائلا بصوت خفيض و كله رجاء :

_أعشقك يا ملك، ارجوك لا تبتعدي عني.

لم تعرف ملك بماذا تجيبه فنهارت جاثية على الارض بركبتيها و هي تقول ببكاء :

_و أنا أحبك كثيرا لكنني تعبت تعبت من الفراق من الوحدة من الاهمال ،كل الذين احببتهم اما ان يهملوني او يتركوني لقد مللت و تعبت ،قلبي يؤلمني كثيرا اريد ان أعيش بسلام

اقترب علي و جلس على الارض بجانبها و كانت الامطار لا تتوقف فأمسك بيدها و قال :

_أعدك الا تحزني مرة اخرى ،سأرسم البسمة على وجهك ولن أدعك تتألمين ابدا

تألمت ملك كثيرا لم تعيش حياتها في فرح ابدا،فمنذ ان وعت على نفسها و هي تتسول الاهتمام من امها او ابيها و لا احد وقتها يحبها تركتها امها للخدم يعتنون بها وانشغلت بنفسها ،وصلت لسن المراهقة وكان وقت حرجا جدا لم تجد اما تنصحها ولا اب يحميها ،طوال عمرها وهي تعيش لوحدها رغم وجود الكل معها ،لذلك عندما قابلت علي وقعت في حبه فورا ،رأت في عينيه حنانا و امان و عندما قابلت امه أحبتها ايضا و كان لفراقهما وقعا أليما على قلبها ،استطاعت ان تسامح حسناء فهي تعرف انها تحبها و تعزها و لكنها لم تستطع ان تنسى ما فعله علي رغم انه اعترف لها بأنه يحبها من اول يوم رآها فيه و اعترف انه كان يكذب عندما قال بأنها مثل اخته و اعترف واعترف لكن اعترافاته زادتها الا ألما و حزن ،ذهبت ملك مع علي لبيته و فرحت حسناء بقدومها و ازدادت فرحا عندما عرفت ان ملك ستقيم لديهم ،طلبت ملك من علي ان تحضر اختها ايضا الى هنا فهي لا ترضى ان تعيش مرتاحة بينما اختها مرمية في ذلك الميتم و وافق علي و اخبرها ايضا بأن تحضر امها ان ارادت ذلك فقالت ملك :

_أمي من طردتكما يوما ما من بيتها هل ستفتح لها بيتك الآن و قد دارت عليها الدنيا

فقال علي :

_العفو عند المقدرة يا ملك ،لم اتعود على رد الإساءة حتى و ان ملكت كل الدنيا

ابتسمت ملك و شكرته ،فأخبرها انهما سيذهبان غدا لإحضارهما

تغير مفاجأ

جاء الصباح يحمل معه الكثير من الخبايا و السعادة و بعض من الاحزان ،فهذا صباحه سعيد بينما الاخر يستيقظ على حزن ،في الحياة شيئان يقترنان مع بعض هما العسر و اليسر فالله جل جلاله عندما ذكر العسر قرنه مع اليسر و لم يقل الله العسر بعده اليسر بل اخبرنا ان العسر معه اليسر ،ليسهل علينا العيش في هذه الحياة جعل الله الفرح رحمة لنا و كما جعل الحزن رحمة علينا ،فبالحزن نؤجر و بالمرض نؤجر و بالسعادة نؤجر حتى الشوكة التي نشاك بها و تؤلمنا نؤجر عليها و نؤجر على صبرنا على ألمها و لو كان طفيفا،ووحتى الحزن نؤجر عليه ،يبتلينا الله ليغسل قلوبنا من الذنوب و المعاصي يبتلينا لنرجع إليه لندرك ان لهذا الكون خالق يحبنا يحمينا و يريدنا ان نلجأ اليه ،الله لا يبتلي المؤمن ليطهره من الذنوب فقط بل يبتلي حتى العاصي الذي لم يعرف في حياته طريق الله ليتذكر و يعود لرشده و يتوب لله توبة نصوح ،و ما حدث لأم ملك لم يكن عقابا بل كان رحمة من الله ليهديها الى الطريق الصح كيف لإمرأة مثلها مربية أجيال في عقدها الخامس تفعل ما يفعله المراهقات اللاتي لا يجد من ينصحهن في عوض ان تتولى هي دور النصح و الارشاد و تحمل كتاب الله و تلقنه لأولادها ،ابتلاها الله بالمرض و الفقر و الفقد لتعود لرشدها و تنتبه لنفسها و تتوب لله

دخلت ملك الى غرفة والدتها في المصحة و وقفت مندهشة لما تراه لم تصدق عينيها ،مرت ثوان عديدة و هي تقف قرب الباب و لا تدري اهي بحلم ام حقيقة والدتها تصلي ،نعم تصلي ،و تلبس لباسا مستور و خمار و تحمل بيدها كتاب الله و تقرأ القرآن ،احقا هذه أمي ! هكذا حدثت ملك نفسها ،اكملت السيدة زلخية صلاتها بهدوء و استدارت لتجد ملك لا تكاد تصدق الأمر ابتسمت و تقدمت نحوها لتعانقها قائلة :

_بنيتي لقد اشتقت لك

لا تزال ملك تحت الصدمة ،اين امها المتعجرفة و المتكبرة اين تلك المرأة التي عشقت المال و اعمت عينيها شهوات الدنيا ،لم تتخيل يوم ان تجد امها

بهذا الحال ،لكن الله لا يعجزه شيئ فهو قادر ان يغير حياتك بالكامل و يجعلك شخصا آخر تماما

اجابتها ملك بحيرة قائلة:

_أمي انا لا اصدق ماتراه عيناي ،أنت تصلين

فقالت زليخة بهدوء و حب:

_(إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ)[الرعد:11] صدق الله العظيم

فقالت ملك متعجبة بأمها :

_صدق الله العظيم

ثم قالت بفرح :

_الحمد لله الذي هداك للطريق الصحيح ،أنا سعيدة جدا لأجلك

عانقتها أمها و قالت بحزن :

_سامحيني يا ملك لقد اخطأت بحقك كثيرا

بادلتها ملك العناق وقالت:

_انا احبك يا أمي لقد انتظرت دائما لحظة كهذه ،انا لم اغضب منك ابدا انت أمي و الأم لها مكانة عظيمة و الجنة تحت أقدام الامهات ،حتى و ان كنت سيئة فالله يقول في كتابه (إِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَاۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا) لم يطلب منا الله ان نسيئ الى الوالدين حتى وان كانا سيئين معنا حتى وان كانا يدعوان للكفر و امرنا الله ألا نطيعهما في ذلك الامر فقط

فقالت زليخة بإمتنان:

_انت ابنة صالحة يا ملك

اخبرت ملك امها بأنها ستأخذها معها ليعيشان عند السيدة حسناء و علي ،خجلت زلخية لمعرفتها بالأمر ،فهي طردتهما في السابق و الآن يفتحان لها بيتهما ،رفضت في بادئ الامر لكن ملك اخبرتها انها فترة مؤقتة فقط و

ستعمل و تستأجر بيت ان شاء الله ،فوافقت زلخية و قررت ان تعتذر لعلي و حسناء عما بذر منها سابقا

وصلت ملك الى الميتم و طلبت من اختها مروى ان تجمع اغراضها فهي ستنتقل للعيش معها وومع والدتهما في بيت حسناء ،فرحت مروى كثيرا و عادت البسمة على وجهها ثم نظرت لملك بحزن و قالت :

_لا أدري كيف كنت تتحملين الوحدة يا ملك و لكنها شيئ صعب جدا ان تجد نفسك وحيدا بلا ام و أب و أخ او اخت انها صعبة جدا

أجابتها ملك قائلة :

_نعم ان الوحدة صعبة جدا ،خاصة إن كنت بين الجميع و تشعر انك وحيد لا تشمل الوحدة البقاء لوحدك بعيدا عن البشر فقط بل في غياب الحب و الامان و الاهتمام ممن هم حولك

ردت عليها مروى قائلة:

_انا آسفة يا ملك ،طالما كنت أختا فظيعة ،لم أعطك حقك في الأخوة

عانقتها ملك بحب و قبلت وجنتيها بحنان قائلة:

_ستظلين اختي الصغيرة المدللة و لن أتركك مهما حدث

سمعت حديثهما زلخية فانضمت لهما و الدموع في عينيها و عانقتهما قائلة :

_سنعوضك يا ملك عن كل لحظة ذهبت من حياتك بلا اهتمام ،سأكون أما صالحة لكما

في لحظة جميلة كهذه أحست ملك بأن الدنيا قد ابتسمت لها بل وفتحت لها ذراعيها على مصرعيهما ،اكملت مروى جمع أغراضها و توجهت مع أمها واختها ملك لبيت علي

لحظات السعادة

وصلت ملك هي و أمها و اختها الى بيت علي استقبلتهم حسناء بترحاب و حب و اكرام ،خجلت زلخية من تلك العجوز المسكينة التي طردتها يوما ما بتعجرف و تكبر من بيتها فهاهي الآن تفتح لها بيتها بعدما انقلبت الموازين ،تكلمت حسناء موجهة كلامها لزلخية القابعة قرب الباب لخجل و ذل قائلة :

_تفضلي يا سيدة زلخية البيت بيتك لا تخجلي فنحن من طينة واحدة ،ان الطين يحن لطين فما رأيت طينا يحن لصخرة و ان الطينة الجيدة لا تتكبر عن أمثالها

نظرت لها زلخية و الدموع تتجمع في عينيها قائلة :

_انا أعتذر منك بشدة يا خالتي حسناء انت انسانة طيبة ،انا آسفة على كل مابذر مني لقد اخطأت بحقك و بحق ابنك كثيرا ذلك اليوم

تذكرت حسناء تكبر زلخية و اذلالها لهما ذلك اليوم لكنها استعاذت بالله من الشيطان الرجيم و قررت ان تنسى الاساءة و تردها بالإحسان لأن الله يحب المحسنين ،أجابتها حسناء قائلة :

_هيا تفضلي يا سيدة زلخية ،لا شيئ بيننا و لقد نسيت كل الأمر

ابتسمت زلخية و ارتاحت ملامحها و توجهت الى داخل المنزل تتبع حسناء و ملك و مروى و قد هالها منظر المنزل المذهل انه اروع من منزلها السابق و افخم منه ايضا واكثر دفئ منه ،نعم لأنه كان من أجل شيئ عظيم مثل الحب

اعطت حسناء لكل منهم غرفة مستقلة و طلبت منهم ان يرتبو اغراضهم و يتحممون و يرتاحون الى ان يصل موعد الغذاء

بعد ساعتين وصل علي لمنزله فأخبرته حسناء بقدوم أهل ملك ابتسم علي و تكلمت امه قائلة :

_لو ترى السيدة زلخية لما عرفتها

فقال علي بإستغراب :

_ماذا تقصدين يا أمي

فقالت حسناء بفرح و ذهول :

_خمار و فستان فضفاض و نور بادي على وجهها و كان نادمة جدا لما فعلت في السابق

فقال علي بتعجب:

_سبحان مغير الأحوال ، ان الله لا يبتلينا لنتعذب فقط بل لكي نستقيم ،والسيدة زلخية كانت تحتاج بشدة لهذا الامتحان ،كانت بحاجة لضربة تقوي ظهرها لا أن تقسمه ،لقد ارادها الله ان تتوب بمثل هذه الطريقة ،اللهم ثبتها

نطقت حسناء قائلة؛:

_اللهم آمين و يثبتنا أجمعين

ثم اردفت قائلة :

_الغداء جاهز سأرسل الخدم لعلموهم بالأمر

اومأ علي برأسه لأمه و توجه ناحية غرفة ملك، طرق ثلاث طرقات قبل ان تطلب منه ملك الدخول ،فتح الباب و كانت ملك ترتدي فستانها الفضفاض الوردي و تضع خمارا بلون السماء كانت الألوان متناسبة فكانت في وسطها تلمع كانجمة البراقة ،تاه علي في ذلك الجمال المستتر الرائع ،افاق من شروده على صوتها قائلة:

_مابك هل انت بخير ؟

اجابها علي بعد ان افاق من شروده قائلا:

_انت جميلة جدا ،ذوقك بالملابس رائع

احمرت وجنتيها خجلا و انزلت رأسها ارضا فقال عليا مستطردا :

_الغذاء جاهز هيا لننزل

فقالت ملك بصوت خفيض :

_سأوافيك في الحال

بعد لحظات نزل الجميع و اجتمعوا حول المائدة التي امتلأت بما لذ و طاب من الأكل الشهي ،كانت مروى مندهشة جدا كيف لفقراء ان يتحولوا لأغنياء بهذه السرعة و كيف لأغنياء ان يكونوا فقراء في ليلة واحدة ،اجتمع في قلبها الحزن و الكآبة و نزلت من عينيها دمعتين متمردتين امتدت يد حنونة لتمسحهما و كانت يد حسناء و اقتربت من خد مروى و قبلتها ثم قالت :

_اعتبريني جدتك يا بنيتي، اياك ان تشعري بالحزن و انت هنا ،ان هذا البيت بيتك و بيت امك و بيت ملك و ستظلون هنا متى شئتم ،لا تبكي يا صغيرتي انظري دائما الى الجانب المشرق ،لقد انقذكما الله و لم يشأ الله ان تظلي بذلك الميتم فأنت لست يتيمة فأمك معك و نحن كلنا معك

قامت مروى من مكانها واجهشت بالبكاء و استدارت لحسناء و عانقتها بشدة وهي تذرف الدموع تحت نظرات الجميع ،تساقطت دموع ملك و نظرت لعلي الذي كان ايضا متأثرا بهذا الموقف اما السيدة زلخية فتكلمت قائلة:

_نحن حقا مدينون بحياتنا لكما ،و أنت يا علي أنا اسفة حقا على ما بدر مني ،اعدك بأنني سأكون انسانة اخرى

اجابها علي بإحترام قائلا:

_انا سامحتك يا خالتي زلخية

ثم اردف قائلا :

_بما أننا مجتمعون هنا سأفتح معكم موضوعا و خاصة انت يا خالتي زلخية

نظرت زلخية لعلي بأنتباه شديد يدل على تركيزها في كلامه فأكمل علي قائلا:

_ربما لا تعرفين سبب مجيئي ذلك اليوم مع ملك لبيتكم وربما لا تعلمين لما حصل لنا أبدا

ثم شرع علي يقص على زلخية و مروى كل ما حدث في تلك الفترة وكيف ان ملك ساعدتهما و فتحت بيتها لهما وكيف وقع بحبها الى ان

افترقا و وكيف عانا كثيرا بعد فراقها و كيف وقف على رجليه و أسس كل هذا فقط لأجل ابنتها ،اكمل عليا قصته العجيبة قائلا :

_ وهكذا يا خالتي رجعت الى هنا بعد ان حققت ما كنت اطمح له و كلي أمل أن اجد ملك ،والحمد لله وجدتها لكنني لم أتوقع ان اجدها بهذه الحالة او بالأحرى لم اسمع عنكم اي شيء لذلك تفاجأت بالأمر ،و كما فتحت ملك لنا قبل عامين واشهر بيتها و قلبها فأنا سأفتح لها و لعائلتها ولكل شخص تحبه بيتي و قلبي و اريدها ان تكون زوجة لي في الحلال و انا اطلب موافقتك يا خالتي زلخية و لنكون عائلة مترابطة

اندهشت زلخية من كلام علي فهي لم تتوقع كل هذا و لم تعرف ان ابنتها عاشت كل ذلك و ادركت انها كانت حقا بعيدة كل البعد عن حياة ابنتها ،ابتسمت زلخية و قالت :

_هذا شرف لي ان اناسبكم و خاصة انت يا علي ،ان كانت ابنتي موافقة فأنا اوفق ايضا لا يمكنني ان اجد زوجا مثلك لإبنتي غيرك

أطلقت حسناء زغرودة طويلة و صفقت مروى بفرح اما ملك فذابت في خجلها ولم تعد ترى من حولها غير علي الذي كان يبتسم لها بثقة و حب و هو يقول بعينيه المتلألأتين (ها قد حصلت عليك أخيرا)

بعد شهرين تم زواج علي و ملك و كان الولي الموصى على عقد زواجها هو خالها الذي بالكاد اقنعته اخته زلخية بالمجيئ ليكون وليا و قد اخبرته ان ابنها الوحيد مزال مسافرا و لم يعد بعد للوطن وهي لا تعرف عنه شيئ .

عمت الفرحة في ذلك البيت بعد أنجبت ملك توأمين بنات بعد عام من الزواج و اكملت مروى دراستها و ارتدت الحجاب بفضل الله و بفضل نصائح اختها ملك ،اما زلخية وحسناء فذهبا للحج في ذلك العام ،طور علي من عمله واصبحت له شركته الخاصة و هو الآن يعمل على ان يطورها أكثر لتصبح منافسة لشركات عالمية ،تغيرت حياة ملك بعد انجابها لبنتين و ازاد علي حبا لها فهاهي قد انجبت له قطعتين تشبهانها كثيرا .

في مكان ما مظلم و بارد هناك شخص يقبع في الظلام و هو يقول بحقد وكراهية:

_سوف أدمرك يا علي ،انت السبب في افلاسنا ،وانت السبب في موت أبي ،ذلك الكتاب اللعين سوف امزقه و امزقك معه سأرجع قريبا و شركاتك سوف تختفي ايها السافل .....

تمت بفضل الله